السنة السادسة | العدد ١ | ١ ك ٢ سنة ١٩٠٣

المشرق

عامنا الجديد

نودّع بالشكران عاماً قد انقضى   وبالحمد والتسبيح لله ننطقُ
ونتلو تحيّاتٍ لعامٍ هلالُهُ   تبدّى لنا والله فيهِ الموفّقُ
عسى الدهر لا يبلو العباد بآفةٍ   ويغمرهم بالخير ربٌّ ويشفقُ
فهذا دعاء القلب جاء يزفّهُ   لقرّائهِ في غرّة العام مشرقُ

اسداد النيل الجديدة *

للاب بطرس دي فراجيل اليسوعي

من اعجب ما ذكرهُ العرب من آثار ملوكهم الاقدمين سدُّ مأرب او العرم وهو حِبْس ابتناهُ على ما رُوي سبأ بن قحطان بين جبلين بالصخر والقار فحقن بهِ العيون والامطار وساق اليهِ مياه الجبال وترك فيهِ خروقاً على قدر ما يحتاج اليهِ اهل اليمن في

* راجعنا لتحرير هذه المقالة الكتب الآتية : A. Chélu : *Le Nil, le Soudan et l'Egypte* = W. Willcoks : *The Nile Dam at Assouan and after* = Id. : *Egyptian Irrigation* = H. Pensa : *L'Egypte et le Soudan Egyptien.* = A. Milner : *England in Egypte* = W. Garstin : *Irrigation projects on the upper Nile* = Rapports et documents officiels = Journaux locaux.

تشيم (راجع الجزء الثالث من مجاني الادب ص ٢٩٥) . فهذا العمل الخطير جعل سهول اليمن كجنات فيحاء اغنت سكانها ما شاء الله

وما نقرأه عن قدماء العرب قديم اليوم فعلًا في بلاد اقرب الينا نريد الاقطار المصرية وخزانها الجديد في اسوان الذي احتُفل بافتتاحهِ في العاشر من الشهر المنصرم فكان الاحتفال يومًا مشهودًا يحضرهُ الجناب الخديوي وشقيق ملك انكلترة لدوق دي كونوت والدوقة قرينتهُ مع قناصل الدول العظمى واعيان مصر ووجوه البلاد وكلهم بالبزَّة الرسمية هذا فضلًا عن الجماهير الجمهورة من الناس تقاطروا الى مشاهدة هذه الحفلة البهجة

على انَّ هذا المشروع الجليل مع خطر شانهِ ليس هو الَّا مقدّمة لمسعى آخر اجل واعظم يحاول ارباب السياسة المصرية اخراجهُ الى حيّز العمل أعني بهِ ابتناء احواض أخرى في النيل الاعلى لتكون مصر والسودان على مأمن من القحط ابد الدهر . ولمَّا كان هذا الامر ممَّا يهمّ بلادنا الشرقيَّة وترقيها في معارج الفلاح احببنا ان نبسط الكلام في الاحواض النيليَّة واسبابها ومنافعها

١

اعلم انَّ الذين لا يعرفون مصر حتى المعرفة ولم يعيشوا فيها زمنًا طويلًا ربَّما خُدعوا بما يقرأونهُ عن النيل وخواصهِ في قديم الاعصار . قال هيرودوتس ابو التاريخ : « انَّ مصر هديَّة النيل » . وقال عمرو بن العاص في كتابهِ الى الخليفة عمر بن الخطَّاب بعد فتح بلاد الفراعنة : « انَّ كل خيرات مصر تأتيها من نهرها الميمون » . وقال المسيو شالو (M^r Chélu) في مقدّمة كتابهِ النفيس عن مياه مصر وسقيها : « ان كل كتبة العهد القديم لسان واحد في إطرائهم مصر ونهرها الجليل الذي يجلب اليها في كل سنة من اواسط افريقية بطين لزج يغطي مساحتها البالغة ٢,١٠٠,٠٠٠ هكتار فيخصبها ويغنيها »

فالذين يقرأون مثل هذه الاوصاف لا يرون فائدة لحبس المياه وتنظيم السقي لزعمهم انَّ المياه اذا غمرت الاراضي ونضبت انعشت في قلبها حياةً جديدة فيكفي الزارع ان يبذر بذرهُ فينال بدلًا من الواحد مئة ضعف

ذاك قولهم وهم لا يدرون انَّ حالة مصر اليوم ليست كحالتها في الامس وذلك

لانَّ سطح النيل قد هبط الآن فصار دون سطح الاراضي التي يجري في وسطها فاضحى بذلك آفة للبلاد بعد ان كان خيرها الاعظم. فتراه سنة لا يبلغ عاره القانوني فتقحط البلاد لقلة الماء وفي سنة يعلو سطحه عاواً زائداً فيجرف التربة بسيله ويجرفها

والامر الاول قد لحظه مهندسو البعثة الفرنسوية قبل مئة سنة ودلوا على سببه وهو ارتفاع التربة بما يأتيها من الطين الدسم ويبلغ مقداره مسانهة ٤٠,٠٠٠,٠٠٠ طن من المواد اللزجة التي ترسب على سطح الارض مع مياه النيل عند نضوبها . وليست مصر السفلى الّا مركباً من هذه التربة الجرفيّة وقد قُدّر سمكها في كل مئة سنة فوُجد ١٢٥ ميليمتراً فتكون ارض مصر ارتفعت منذ اربعة آلاف سنة خمسة امتار .

امّا الامر الثاني اعني جَرْف السيل للتربة فسببهُ خرابُ السدة الطبيعيّة التي كانت تحصر المياه فترفعها في نُوع متعددة . وهذه الاحباس الطبيعيّة كصخور الشلالات ودمغ الجنادل عمل في عناصرها الحامضُ الكربونيّ الذي يأتي به النيل الابيض في جملة ما يأتي من الاجسام الآليّة المتحلّة . فهذا الحامض الاكَّال مع احتكاك المياه نخرا الصخور وخدّدا فيها خدوداً بليغة فتغيَّرت هيئة مسيل النيل وزاد عمقهُ . واذا قابلنا الآن اعلى درجة يبلغها مقياس النيل في سني فيضانه مع ما كان يبلغهُ في عهد الفراعنة وجدنا انهُ اليوم اهبطُ سطحاً منهُ سابقاً بثمانية امتار . ولنا على ذلك دليل واضح في ما دوّنهُ الملك مارويس (Mœris) على صخور «سمنة» بالحروف الهيروغليفيّة . وترى اهل دنقلة في ايامنا لا يمكنهم ان يسقوا اراضيهم الّا بان يصعدوا مياه النيل خمسة عشر متراً فوق سطحها

وعليه ترى على طول وادي النيل الوفاً وربوات من العملة ليس لهم من همٍّ الّا استقاء مياه النهر بآلات شتّى كالنواعير والشواديف والطلمبات ولوالب ارخميدس فضلاً عن الادوات البخاريّة . وكلّ ذلك يُجحِف في الزراعة وخسارة فترى املاكاً كثيرة بارت بعد خصبها وريّها . مثال ذلك انَّ بين خرطوم واسوان ٢٧٠,٠٠٠ كيلومتر مربّع من الاراضي كان يسقيها النيل سابقاً فتأتي بالغلات العظيمة واليوم لا يُزرع من هذه الاراضي سوى ٢٠٠٠ كيلومتر والباقي قد بسطت عليه الرمال كفنها فاهلكتهُ . وكذلك ما بين اسوان فالقاهرة لم تعد الارض تأتي باكثر من غلّة واحدة

لصعوبة السقي . وان كان اهل مصر السفلى ينالون غلأت متوالية فيحصلون على ذلك بعد الكدّ والنصب

هذا ومما اضعف تربة مصر وافقرها ما نوّه به المسيو شيلو قال انّ اهل مصر منذ قرون متوالية يجرون في زراعتهم على طريقة واحدة دون مراعاة لطبيعة الارض وترويجها فصارت لا تأتي بما تأتي به الاراضي الطيّنة في فرنسة وانكلترة وهولندة من الغلأت . والامر في مصر اخطر منهُ في غيرها لانّ حياة هذه البلاد متوقفة على الزراعة فاذا كسدت صار الاهلون جميعاً في ضنكٍ وبلاء . لا سيما ان هذا البلد اليوم يبهظهُ دَين ثقيل ويصرف مُتولّوهُ كل سنة المصاريف الطائلة منعاً لطغيان النيل ولاصلاح الترع

فترى من ثمّ انّ مستقبل مصر من حيث احوالها الاقتصاديّة ليس بزاهرٍ لولا ان يتلافى اصحاب الامر هذا الخلل بوضع سدود يُنظّم بها الريّ . قال المسيو شيلو لو انّ الله بسابق عنايته لم يجعل شلألات للنيل لاقتضى الامر ان نتيحها نحن لمنافعها الجمّة . ولما كانت هذه الجنادل قد عُدّت باخاديد ضيقة او ذهب بها الزمان فانّها لا بُدّ من وضع أسداد تقوم مقامها فيرتفع سطح مياه النهر وتُسقى الاراضي سقياً نظامياً لتزيد خصباً وغضارةً ويصير النيل صالحاً لسير المراكب من البحر المتوسط الى خط الاستواء

٢

اقدم اثر تاريخي ينبئنا بمساعي الفراعنة في اصلاح مجرى النيل ما ورد عن بركة قارون (بحيرة ماويس) في اقليم الفيّوم وبلاد الفيّوم هي اليوم اخصب الاقطار المصريّة وكانت في سالف الزمان غوراً متّسعاً يبلغ تكسيرهُ الفي كيلومتر مكعّب تأتيه مياهُ النيل بسيل طبيعي يُعرف ببحر يوسف . وهذه البحيرة لم يحفرها الملك أمنحمت كما يروي البعض استناداً على مزعم هيرودتس وانّما جُعلت لها قناطر سكورٌ في ايام ملوك الدولة الوسطى فصارت البحيرة كحوض عظيم تُحفظ فيه المياه الزائدة وقت الفيضان فتُصبّ عند نقص المياه . وبقيت تلك البحيرة على ذلك مدّةً يعلمها الله الّا انّ في القرن الثاني للميلاد كانت المياه قد هبطت هبوطاً عظيماً فعاد سطحها اربعة امتار فوق البحر المتوسط بعد ان كان يعلوهُ باحد وعشرين متراً . واليوم قد انحصرت المياه في هذه البحيرة حتّى انّ اتساعها لا يتجاوز سعة بحيرة قسطنس في سويسرة . وسنذكر

من المهندسين فكروا في اصلاح هذا الحوض لسقي اراضي مصر

ثمَّ مرَّ على المصريين عشرون جيلاً دون ان يحاول احد من الملوك تنظيم مياه النيل وتحبيس مسيله. ومما يُنسب للرومان عدة قنيّ وتُرع حفروها لترويج التجارة والملاحة. ثمَّ عُني خلفاؤهم بكسح هذه القنوات وتنظيفها الّا ان الفلاحين المسخَّرين بمثل هذا العمل الشاق كانوا يتنصَّلون منهُ ما امكنهم حتى ان القنيّ اضحت في القرن الثامن عشر مترعة بالرمل والطين لا تصلح لجري المياه

ولمَّا قام محمَّد عليّ باشا لم يألُ جهدهُ في سدّ هذا الخلل واصلاح سقي النيل. ومما فكَّر فيهِ ان يخرج الى عالم الوجود سكرًا عظيمًا في راس مصر السفلى المعروفة بالدلتا حيث النهر ينقسم الى قسمين فيرفع سطح المياه اربعة امتار الى اربعة ونصف صعودًا. وقدَّم لهُ مهندسان فرنسويان رسمَين يختار منهما ما شاء فالرسم الاول اصطنعهُ الباشا لينان دي بلفون (Linant de Bellefonds) غايتهُ ان يُبنى خزَّان للنيل شمالي تلك النقطة ويتوَّم مجرى النهر الّا انَّ هذا الرسم أُهمل لما كان يقتضيهِ من النفقات. والرسم الثاني وضعهُ موجل بك (Mougel - bey) فاصاب رضى محمَّد علي باشا وكان موجل بك اظهر اقتدارهُ على الاعمال الهندسيَّة باصلاحهِ لمرفإ الاسكندريَّة فسلَّمهُ محمَّد عليّ باشا هذا العمل الجديد الاهل بالجبابرة

فباشر المهندس هذا المشروع العظيم في سنة ١٨٤٣ ساعدهُ في اتمامهِ ١٢٠٠٠ جندي والف عمَّار الّا انَّ نشاط العَمَلة خمد بعد ذلك بوحال دون العمل من المصاعب ما لم يكن في الحسبان. منها انَّ المهندس لم يجد في التربة صخرًا ثابتًا يبني عليهِ الاساس فلزمهُ ان يحفر خنادق عميقة استغرقت كثيرًا من المال فتصدَّى لهذا العمل وزير الماليَّة وعاكسهُ فارتحت عزائم المهندس ولم يواصل عملهُ الّا بعد العناء والمشقَّة. وبقي هذا الخزَّان غير تامّ الأُهبة ناقصًا من عدَّة وجوه فأُهمل منذ سنة ١٨٦٧ واستولى عليهِ الخراب شيئًا فشيئًا. وغاية ما كان يخزنهُ من المياه اربعة امتار ليس الّا

ولمَّا كانت السنة ١٨٨٥ قرَّرت الحكومة بان يُصرف على ترميم هذا الخزَّان ستَّة ملايين من الفرنكات فباشر اصحاب الامر هذا العمل باغراء السير كولين منكريف (sir Colin Moncrieff) ونظارة الكولونل مهندس

المستر وِسْتِرْن (Western) والمهندس البلدي رِّيد (Reid) فاشتغلوا في هذا الاصلاح خمس سنوات ولاقوا في اثناء الامر مشاكل لا تُحصى وصفوها في كتاب خاص نشروهُ في ذلك

وبعد الفحص المدقّق وجدوا انهم لا يستطيعون اصلاح الاساسات دون خطر سقوط البناء كلّه فقسموا العمل اقساماً ونشّفوا جانباً من الخزّان نحو ٣٠ قنطرة منهُ فافردوها ووطّدوا دعائمها بالحجارة الضخمة والكلس الفرنجي واعاوا اساسها متراً وربع متر ثم انتقلوا الى الاقسام الاخرى الى ان انتهوا من العمل. وكثيرًا ما كانت المياه المنبجسة من الارض تغمر العمارة في مطاوي الشغل فتمكّنوا من قطعها بقصبات حديدية كانوا يغرسونها في التربة ويجاوبن لها قساطل يجري منها الماء الى خارج البناء. واشتغل العملة في هذا الامر وحده ثلاثة اشهر ليلاً مع نهار

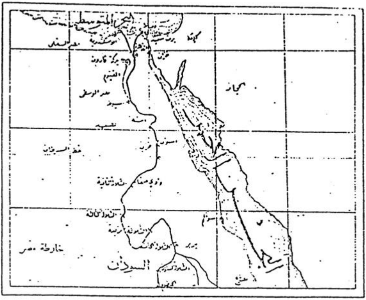
وخزّان الدلتا هذا ينقسم الى قسمين: قسم على شعبة رشيد طولهُ ٥٢٢ مترًا و ٢٠ سنتيمترًا يتركّب من ٧١ قنطرة و ٦٨ مفتاحاً لجري المياه وسكّرين سكر في كل طرف. وقسم على شعبة دمياط طولهُ ٤٥٢ مترًا و ٣٠ س تساوه ٦١ قنطرة مع ٥٨ مفتاحاً وسكّرين ويجمع بين هذين القسمين رصيف مستدير في وسطه ترعة المنوفيّة

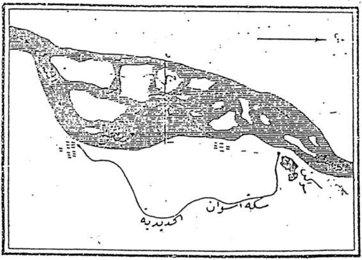
وهذا الخزّان المسمّى بطن البقرة يؤدي لمصر السفلى خدماً جليلة وان فاقتهُ الاحباس الجديدة فمنهُ تجري المياه الى القنوات الستّ التي ترى تحت القاهرة فتحيي الزراعة في البلاد الساحليّة وتضمن لاهاليها القوت والحياة. والمياه التي تصب من هذا الخزّان تعادلُ في كميتها ستّة او سبعة اضعاف مياه التاميز نهر لندن

٣

ولكن ان كانت حياة المصريين مضمونةً في اسافل مصر منذ سنة ١٨٩٠ فالامر لم يزل في لُبس وإشكال لمصر الوسطى وللصعيد واهليها تحت خطر الضنك والمجاعة لولا ان يُتلافى امر النيل وينظّم ريّهُ

واوّل من فكّر في استدراك الخلل فرنسويان هُمامان الكنت دي لاموت ودِصينهُ المسيو جاركه صاحب خزّان نهر السُون في مدينة ليون فعرضا على الحكومة ان يبنيا حوضاً كبيرًا تربيعهُ ٧٩٠ كيلومترًا في تمّ انبوس جنوبي عقبة جبل سلسلة اسوان على مسافة ٥٥ كيلومترًا منها. وكان المهندسان يحدسان انّ هذا الحوض





نظر موقع خزان اسوان وفيلة من علٍ   ا ب ج د   خزان اسوان الحالي

يمكنهُ ان يخزن سبعة مليارات متر مكعب من الماء حتى اذا جرى منهُ مدة مئتي يوم ٣٠ مليون متر مكعب في اليوم لا تنضب مياههُ . فوقع هذا المقصود الخطير . وقعاً حسناً لدى لجنة من المهندسين عُقدت لفحصهِ مع الشرط بان يُراقب المكان ويُدقق البحث عنهُ . وفي سنة ١٨٨٧ عاد الكنت دي لاموت وعرض بناء حوض ثانٍ في سهل قلابشه على مسافة نحو ٥٠ كيلومتراً من الشلالة الاولى

فأرسل سنة ١٨٩٠ وفدٌ من المهندسين ليفحصوا المكانين ويتعرَّفوا علوَّهما بالتدقيق فوجدوا انَّ ابتناء الحوضين امرٌ عويص تخيب دونهُ الآمال لا سيَّما ان سهل قلابشه اعلى من ان يُجعل حوضاً للمياه

فاتجهت حينئذٍ الافكار الى سهل الفيوم السابق ذكرهُ واوَّل من استلفت الانظار اليه المسيو لينان دي بلفون في كتابهِ عن تاريخ وزارة النافعة في مصر واشار الى تحويض بحيرة ماوريس اي بركة قارون . واستصوب الكنت دي لاموت هذا المشروع وأيدهُ بتعريف انخفاض وادي ريَّان الذي تغمرهُ البحيرة المنوَّية جنوبيَّ الفيوم . وكذلك فصَّل الامر احد العلماء الاميركيين وبيَّن وسعهُ واتساع البحيرة وكمّيَّة مائها وقدَّر ما يقتضيه المشروع من النفقات بنحو عشرين مليوناً . الَّا انَّ هذا المسعى ايضاً لم يتمَّ نظراً لاسباب منها قرب وادي ريَّان الى القاهرة فلا تنتفع مصر الوسطى كثيراً من هذا الحوض

وعُرض على الحكومة بعدئذٍ مشروع آخر للكونيل روس (Ross) غايتهُ اصلاح تُرَع متفرقة في مصر الوسطى والصعيد وحدس بان هذا الامر لا يكلف اكثر من ٢٠ مليوناً ونصف مليون فرنك . فاستحسن اهل النظر هذا القصد لكنهم ارتأوا انَّ خير العموم يقتضي مشروعاً آخر اعمَّ فائدة

فقدَّم اذ ذاك الفرنسي المسيو برومت (Mr Prompt) ناظر الجسور والقنوات رسماً آخر غايتهُ ابتناء خزَّان في اسوان مع تمهيد الطرق للحكومة المصرية لفتح السودان . وكان ذلك في سنة ١٨٩١ والحرب السودانيَّة قائمة على ساق . وكان اول منفعة تنجم من هذا المشروع أن يُجعل النيل صالحاً للسفن من اسوان الى خرطوم وذلك بابتناء عشرين خزَّاناً بين المدينتين فيرتفع سطح المياه عن قعرها متراً واحداً على الاقل . ومما اقترحهُ المسيو برومت ان تكون اسوان منتهى السكة الحديديَّة في الصعيد ويُبتنى فيها حوضٌ علوُّهُ خمسة او ستَّة امتار ثمَّ يُضاف اليه حوض ثانٍ علوُّهُ

١٧ مترًا في مضيق تلابشه يُخزن فيه كميّة من المياه تبلغ ١٥٠٠٠ مليون متر مكعب . واذا تمّ كلُّ ذلك صار السودان تحت حكم مصر واضطرَّ اهلهُ ان يرسلوا كلَّ محصولاتهم على طريق مصر

فهذا هو المشروع الاخير الذي كان أساساً لما نجز اليوم بالفعل سبق الى وضعهِ مهندس فرنسوي فاتنهُ من بعده المهندسون الانكليز

(التتمة لعدد قادم)

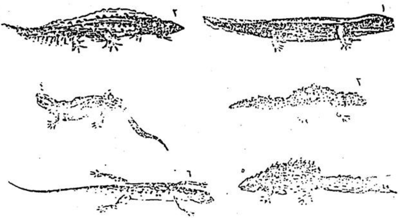
السَّنْدَل

للكاتب المتفنن البارع الاب انستاس الكرملي

في اللغة العربيّة ألفاظ كثيرة لا يُعرف اليوم معناها الحقيقي وذلك امَّا لقصور التعريف الذي ورد بخصوصها . وامَّا لابهامه وغموضه وامَّا لقولهم « معروف » وهو اليوم عندنا « مجهول » او نحو ذلك من أساليب الكلام الذي لا يُغني عنهُ فتيلًا ولا يُروي غليلًا مع اننا اصبحنا في زمانٍ نحن في حاجة ماسّة الى معرفتها لان اغلبها من المواليد الثلاثة التي لجيلنا ما وحنهُ السَّلَف من تلك الحروف نتَّخذ بدلًا منها الفاظاً اعجميّة نحن في غنى عنها . وزد على ما تقدَّم أننا اذا توفَّقنا الى كشف غوامضها نستفيد منها فوائد جمة : منها اننا نفهم فهماً جليًّا معنى تلك الالفاظ عندما يذكرها العرب في مؤلفاتهم . ومنها أننا نتمكَّن من استعمالها في مواطنها ومساقطها من كتاباتنا كأنها احتجنا اليها . ومنها تخليص هذه اللغة الشريفة من الابهام الذي يُتعب الافهام ويدفع النفس الى السأم

وقد بذلتُ ما في الوُسع لازاحة القناع عن مثل هذه الالفاظ فوفقت والحمد لله على كثير من حقائق معانيها ودقائق مدلولاتها ومبانيها امَّا بمعرفة الاعجمي الذي أخذت عنهُ وإمَّا من إعمال الفكرة فيها وامَّا اني اهتديتُ الى ضالّتي نبأً حتى انهُ لم يَبْقَ للشبهة فيها سبيل . ومن هذا القبيل كلمة « سَنْدل »

قال الدميري : « السَّنْدل » بفتح السين والميم وبعد النون الساكنة دال مهملة ولام



١ السمندل الاميركي ٢ السمندل المبقع ٣ السمندل الرخامي
٤ السمندل البري ٥ السمندل ذو العرف ٦ سمندل المقابر

في آخره وسماه الجوهري: « السَّندَل » بغير ميم. وابن خلكان: « السَّنَنْد » بغير لام وهو طائر يأكل البيش . . . ومن عجيب امر السَّمندل استلذاذه بالنار ومكثهُ فيها واذا اتَّسخ جلده لا يُغسل الّا بالنّار. وكثيراً ما يوجد في الهند وهي دابّة (كذا بعد ان قال انهُ طائر) دون الثعلب خلنجيّة اللون حمراء العين ذات ذَنَب طويل يُنسج من وَبَرها مَناديل اذا اتَّسخت أُلقيت في النار فتنصلح ولا تحترق. وزعم آخرون: ان السَّمندل طائر ببلاد الهند يبيض ويفرّخ في النار وهو بالخاصيّة لا تؤثر فيهِ النار ويُعمل من ريشهِ مناديل تُحمل الى بلاد الشام فاذا اتَّسخ بعضها طُرح في النار فتأكل النّار وسخهُ الذي عليهِ ولا يحترق المنديل. قال ابن خلكان: « ولقد رأيت منهُ قطعة ثخينة منسوجة على هيئة حزام الدابّة في طولهِ وعرضهِ فجعلوها في النار فما عملت فيها شيئاً فغمسوا احد جوانبها في الزيت ثمَّ تركوهُ على فتيلة السراج فاشتعل وبقي زماناً طويلاً مشتعلاً ثمَّ أطفأوهُ فاذا هو على حالهِ ما تغيَّر منهُ شيء. . قال: ورأيت بخط شيخنا العلاّمة عبد اللطيف بن يوسف البغدادي انهُ قال: قُدّم للملك الظاهر ابن الملك

الناصر صلاح الدين صاحب حلب قطعة سندل عرض ذراع في طول ذراعين فصاروا يغمسونها في الزيت ويوقدونها حتى يفنى الزيت وترجع بيضاء كما كانت ». ذكرهُ في ترجمة يعقوب بن جابر المنجنيقي مع زيادة اخرى . . . وقال القزويني: « السَّندل » نوع من الطَّأر يدخل النار وذكر ما تقدَّم والمعروف انهُ طائر كما حكاهُ البكري في كتاب المسالك والممالك وغيرهُ ايضاً » . انتهى بحرفهِ

وقال في مادة السَّندر والسَّيذر: « دابَّة معروفة عند اهل الهند والصين . قالهُ ابن سيده » . قلتُ: ولم يزد المؤلف على هذا القدر

وقال في التاج: « السندل طائر بالهند لا يحترق بالنار ويُقال فيهِ ايضاً « السَّبَندل » بالباء عن كراع . ويُقال انهُ اذا هرم وانقطع نسلهُ ألقى نفسهُ في الجمر فيعود الى شبابهِ » . اه . وقال في « سَنْدر » : « السَّنْدر كقَلَندر و « السَّيْذر » كعَيْثل دابة كالسَّندل وعلى الثاني اقتصروا كاقتصار الصاغاني على الاول . وقال : هي غير السَّنْدَل اه . وقال في « السَّنْبَل » : طائر يأكل البيش عن الحائط . كما في اللسان

وقال في البرهان القاطع ما معرَّبهُ : « السَّنْدر كقَلَندر حيوان يتكوَّن في النار وهو بقدر الفارة . قيل : اذا خرج من النار يموت . وقد يخرج منها في بعض البلاد ليجول خارجاً عنها فيصطادهُ الناس ويتخذون من جلدهِ مناديل وقلانس واذا اتَّسخت يلقونها في النار فتنظف كأنها غُسلت بالصابون . وعلى رواية : أنهُ بشكل سام ابرص . ومن جلدهِ تتخذ عالاتٌ ومن وبرهِ تُنسج ثياب . وهذه تلبس غالباً في الايام الحارَّة والحرارة والهواء لا يؤثران فيها ابداً . ويزعم البعض ان السَّنْدَر طائر وهو السندل ايضاً » . اه .

وقال في مادة « سندل » السَّنْدَل والسَّنْدُور والسَّنْدُوك والسَّنْدُول والسَّنْدُون كلها بمعنى سَنْدل . وأصل لفظة سَنْدُون : « سام اندرون » نُحتت وتُخُصِّلها : « في النار او بداخل النار » لان معنى « سام » « النار » ومعنى « اندرون » « في » او « بداخل » اه

وقال في « سامَنْدر » : سامَندَر على وزن آهَنكر : هو السامَنْدل . وهو حيوان بقدر الفارة يتكون في النار ويُتَّخذ من جلدهِ قلانس وأكِنَّة وثياب . واذا اتَّسخت تُلقى في النار فتخرج كأنها قد غسلت بالصابون . وعلى رواية اخرى : انهُ طائر . اه

وقال في « سالاَمَنْدَرَا » بفتح الميم : نوع من الوَزَغ لهُ اربع أرجل قصير الذنب رقيق العنق ملوَّن بالسواد والصُفرة لا يعمل فيهِ الحجرُ ولا النارُ ابداً . وهو سم قاتل يُقال له بالتركية « ييلانه اغوويرن » اي المعطي السمَّ للحيَّة . وهو يوجد غالباً في معادن النُشادر ويقال لهُ الجِرْذَوْن ايضاً . واذا رُبِط قلبهُ على الكتف افاد للحُمَّى الربع . اه

فهل سمعت هذه التعاريف الغريبة المتضاربة من « حيوان وطائرٍ ومعدنٍ » وهل حفظتَ اللُغات المصحفة التي وردت فيها وقد بلغت احدى عشرة لغة او فهمت ما المراد بهذا السَمَندل وما هو الاصل المعرَّب عنهُ وإلى كم معنىً نُقل هذا الحرف ؟ — قلتُ : الاصل في كل ذلك ان الكلمة يونانية معرَّبة عن « سالاَماندَرا » (σαλαμανδρα) وهو اسم دويبة مشهورة عند الاقدمين وقد رَوَوا عنها نفس الخرافات التى ذكرناها بل وزادوا فيها . واسمها بالعربية البَرْقُوت والسَرْفُون والمشهورة من هاتين اللغتين ما كان آخرها تاء . قال الدميري : السَرْفُوت : بفتح السين والراء المهملتين وضم الفاء : دويبة تُعشش في كور الزجاج في حال اضطرامه وتبيض فيه وتفرّخ ولا تعمل بيتها إلا في موضع النار المستمرّة الدائمة . كذا قالهُ ابن خلكان في ترجمة يعقوب بن صابر (وفي مادة سمندل يقول : بن جابر) المنجنيقي . (قلتُ : ولم اجد هذه الترجمة في كتاب ابن خلكان الذي بيدي) وهذه الدويبة تشارك السَمندل في هذا الوصف . انتهى

امَّا الحقيقة فهي انَّ هـذه الدويبة هي من جنس الضفادع المذنَّبات الذنب (batraciens urodèles) وتشتمل على دويبات منظرها الخارجي منظر سَوَامّ ابرص فان جسمها مستطيل وذنبها طويل غير محدَّد الطرف ولها اربع ارجل جانبيَّة متساوية في طولها غير ملتحمة في الغالب وفي كل رجلٍ ٤ أو ٥ اصابع خالية من الاظفار . ورأسها مُفَلْطَح ولها عدَّة أسنان صغيرة ومن هذه الدويبات : برِّيَّة وهي السمادر الحقيقيَّة ومنها مائيَّة . والبرِّيَّة هي التي اشتهرت بهذه الخرافات . وامَّا ما فيها من الصدق فهو ان …ام هذه الدويبات تفرز مادة لزجة تضرب الى البياض ولتدفقها فيها تُمكِّن الـ… من ان تعيش هُنَيهة من الزمان وهي في النار الى ان تنفد تلك المادة فتموت كسائر الحيوانات . وهذه المادة كريهة الرائحة حادَّتها وهي سامَّة لكنَّ سمَّها خفيف الفعل لا يقتل غير الحشرات . وهذه الدويبات نافعة لانها تلتهم الخراطين

والهوامّ. وهي تكاد تكون صمّاء عمياء وتأوي الى المواطن المظلمة النديّة

ولعلك تسألني وكيف إذن شاع عن هذه الدويبة انها طائر وان هذا الطائر يعيش في النار وانهُ قد وجد من ريشهِ او من شعرهِ (على راي من يعدّ هذه الدويبة حيوانًا) ما أُتخذ منهُ مناديل وثياب ومناطق الخ الخ

لن مثل هذا الوهم كثير عند قدماء الكتبة وهم معذورون في ذلك لقلّة اطلاعهم على مثل هذه الامور في كل حيوان او طائر ليس من بلادهم. فلا عجب بعد ذلك اذا ذهب العوامّ الى ما ذهب اليهِ الخواصّ

ومما دفعهم الى هذا الوهم انهم حفظوا ممّا سمعوهُ عن هذه الدويبة انها «تعيش في النار اذا أُلقِيَت فيها» وما سمعوا بهذا الامر الغريب في حدّ نفسهِ ألّا وزادوهُ غرائبَ على عجائبَ فقالوا انهُ يعيش فيها ويعشّش ويفرّخ الخ ناسبين اليها كل ما سمعوا من الاخبار التي يُروى فيها عن عدم تأثير النار في الشيء المرميّ فيها او عن تحسُّنهِ فيها بدلًا من فنائهِ وزوالهِ. واشهر ما كان يُعرف يومئذٍ من هذا القبيل: ١ً طائر اسمُهُ القوقيس او القَقْنُس (راجع المشرق ٢: ٩٢٦) ولهذا ظنّ البعض انهُ طائر. ٢ً دويبة وهي هذه التي ذكرناها. والذين قالوا بذلك هم الذين اعتمدوا على الاحوال التي نقلوها عنها هذه النحلة وقد مرّ الكلام عن حقيقة امرها. ٣ً مادّة معدنية عرفها السلف منذ قديم الزمان كما قد عرفها ايضًا الاعاجم من يونان ورومان غير انهم وهموا في جعلها ريشَ طائر او شعرَ حيوان وسبب وهمهم هو مشابهة هذه المادّة للريش او الشعر حتى ان قدماء الاعاجم كانوا يسمّونهُ «الكتّان الذي لا يحترق» والحقيقة انها مادة معدنية تسمّى بالفرنسية amiante وكان تُتَّخذ منها المنسوجات بانواعها وكانت كلّما اتسخت يلقونها في النار فتنظف. ومثل هذه المادّة مادّة اخرى تُعرف بالعربية «بحجر الفتيلة» وبالفرنسية asbeste. وقد ذكر هـذا الحجر ياقوت في كتابهِ «معجم البلدان» في مادّة «بَذَخْشان» قال ما حرفهُ: وحجر الفتيلة شيء يُشبهُ البرديّ والعامّة تظنّهُ ريش طائر يُقال لهُ «الطائق» (١ (ويروى: المطأق) لا تحرقهُ النار يوضع في

---

١) الذي جاء في كتب اللغة عن الطَّلق: .... هو نبت تستخرج عصارتهُ فيتطلّى بهِ الذين يدخلون النار او هذا وهم اي ما نقلهُ ابن عباد والاصمعي وقال في ابن عباد لم يعمل

الدهن ثم يشتعل بالنار فيتّقد كما تتّقد الفتيلة فاذا اشتعل الدهن بقي على ما كان لم يتغير شيء من صفته وكذلك ابدًا كلما وضع في الدهن واشتعل واذا ألقي في النار المتأججة لا تحرقه ويُنسج منهُ مناديل غلاظ للخوان فاذا اتّسخت وأُريد غسلها أُلقيت في النار فيحترق ما عليها من الدهن والدرَن وتخلص وتطلع نقية كأن لم يكن بها درَن قط . اه

والظاهر ان كلمة « سَندل » وان كانت في الاصل اسم هذه الدويبة المذكورة إلا ان العرب خصّصوا هذه اللغة او هذا التصحيف بهذا الحجر أي amiante وخصّوا اللفظة الاصلية اي « سَندر او سَيْدر » بالدويبة المعروفة « بالسَّلاَمَنْدرا » وهذا ما يؤخذ من سياق النصوص التي أوردناها ممّا لا يُبقي شبهة في هذا الاستعمال . وكثيرًا ما يُعرِّب العرب اللفظة الواحدة الاعجمية بأمثالٍ او روايات مختلفة ويخصّون كل لغة بمعنى يتميّز عن معنى اللغة الأخرى تميّزًا بيّنًا . والشواهد على ذلك كثيرة ولا بُدَّ من ذكر واحدٍ اثباتًا لكلامنا .

فمن ذلك كلمة βύσσος فان معناها الاصلي : نوع من الكتّان الرقيق او ضرب من القطن يُستخرَج من نوعٍ من الصدف البحري اسمُهُ : الفِنّة البحْرية (١ وقد اطلق اليونان والروم هذه اللفظة على كل شعر يشابه الوبر او الخيوط النباتية بل وقد توسعوا بمعناها فاطلقوها على القطن . قلنا : فقد جاءت هذه اللفظة في تراجم التوراة المختلفة بصورة « بُوص » وفسّرها صاحب محيط المحيط بالدمقس ووافقهُ صاحب أقرب الموارد إلا اني لم اظفر بهذا المعنى في غير هذَين المعجمين من الدواوين اللغوية التي وصلت اليها يدي . والذي وجدتهُ في كتب اللغة ان البُوص : بالضمّ : ثمر نباتٍ . والله أعلم بالمعنى الصحيح

شيئًا وهو ليس بنبت إنما هو جنس من الاحجار واللخاف ولعلَّهُ سمع ان الطلق يُسمّى كوكب الارض فتوهم انهُ نبت ولو كان نبتًا لاحرقتهُ النار وهي لا تحرقهُ إلا بحيلٍ وهو ضرب تلك . اه .
فانظر حرسك الله الى ما حلَّ بهذا السندل فقد انتقل الى جميع أدوار المواليد من معدن (على الراي الصحيح) ونباتٍ (على راي بعض اللغويين) وطائرٍ (على راي العوام) وحيوان (على راي جماعةٍ من العلماء) فصحح كل ذلك .

(١) وبهذا المعنى ورد التِيل (بتاء مثناة) بمعنى البُوص . قال في التاج في مستدرك مادة ت و ل : التِيل . شيء شبه الكتّان يخرج من البحر تُنسج منهُ الثياب . اه

وقد عرّبت ايضًا هذه اللفظة بصورة «بزّ» فجاءت بمعنى الثياب مطلقًا او متاع البيت من الثياب.

وقد نُقلت الى وجهٍ ثالثٍ وهو «البِزْيَون» قال في التاج: البزيون كجِرْذَحْل ووقع في اصلاح المنطق بفتح الباء وفي الصحاح مثل عُصفور (ومثله في اصلاح الكاتب): السندس. وقال ابن بري: هو رقيق الديباج. وقال غيره: بساط رومي». اه فقد تقدم ترى انهم قد يعرّبون الكلمة الواحدة باوجه مختلفة ويخصّصون كل لغة بمعنىً قائم بذاته. فتدبّر

الكنيسة والعلوم الفلكيّة

لحضرة الاب لويس شيخو اليسوعي

لا نمالك من الدهش بل من الضحك عندما نطّلع على بعض الجرائد او المجلّات المصريّة فتراها تخوض في مواضيع شتّى لا تدري منها سوى قشرتها وربّما استندت في ذلك الى اقوال بعض الصحفيين الاوربيين من ذوي الجهل او اصحاب الاغراض العمياء ممّن غشّى على ابصارهم البغض للكنيسة وتلاعبت بهم الاهواء تلاعب الريح بالعصافة. ولو اردنا ان نتتبّع هذه الاقاويل الكاذبة لحتم علينا ان نكتب المؤلفات الضخمة تزييفًا لها وتقويضًا لحججها الواهنة. وانّا نكتفي اليوم بالردّ على جملة واحدة قرأناها في بعض هذه المجلات نقلتها احدى الصحف المحلية وهي قولها «انّ الكنيسة تسلّطت في العالم المسيحيّ اثني عشر قرنًا في اوربا ولم تمنحنا فلكيًا واحدًا» ففي هذه الجملة من التحامل على الكنيسة الكاثوليكيّة ما لا يسعنا السكوت عنه فاسرعنا الى كتب هذه المقالة ليرى القرّاء ما في هذا القول من الصدق

*

وقبل الردّ على هذه العبارة المجحفة بحقّ الكنيسة لا بدّ من تقديم بعض المقدمات تمهّد الطريق لفهم ما يأتي فنقول:

(اولا) ساء ظن بعض الكتبة اذ يعتبرون الكنيسة كجماعة علميّة غايتها بث المعارف البشريّة ونشر العلوم الدنيويّة . أجل انّ كنيسة المسيح لا تأبى شيئاً مما يسمو بعقل الانسان الى معرفة الحقائق العالية أيّة كانت لا بل تجد فيها مساعداً قويًّا لتحقيق غايتها التي لاجلها انشأها الربّ على الارض ولكنّ العلّة الاولى التي حملت ابن الله على وضعها انّما هي ابعد امداً واقصى غرضاً من ذلك . وعليه فانّ المسيح تذكره السجود لمّا ارسل الحواريين الى اقاصي المعمور لم يقل لهم : « اذهبوا وألّفوا الكتب العلميّة وانشروا المعارف البشريّة » بل قال لهم (متى ١٩:٢٨—٢١) : « اذهبوا وتلمذوا كلّ الامم معمّدين ايّاهم باسم الآب والابن والروح القدس وعلّموهم ان يحفظوا جميع ما اوصيتكم به وها انا معكم كلّ الايام الى منتهى الدهر » فترى من هذه الآية البيّنة انّ الغاية التي توخّاها السيّد المسيح بانشاء الكنيسة انّما هي غاية دينيّة روحيّة اعني خلاص الامم وانقاذها من رقّ عبوديّة الشيطان خزاه الله . ومن ثمّ سواء وُجد في الكنيسة علماء بالمعارف المدنيّة او لم يوجد ليست الكنيسة بمسؤولة في ذلك وغاية ما يُطلب منها أنشرت دين المسيح بين الامم ام لا

نقول (ثانيا) انهُ ليس بصحيح قول القائل بانّ الكنيسة تسلّطت في اوربّة اثني عشر قرناً فانّ القرون الثلاثة الاولى كانت فيها الكنيسة في ضنك وتحن تدلّنا عليها كلّ آثار التاريخ المدني فضلاً عن التاريخ الكنسي فكان المؤمنون يعيشون في الدياميس وهم يختفون عن العيان لئلاً تدهمهم ضربات الوثنيين فيُبيدوا بكمالهم . والشاهد على ذلك الاضطهادات العشرة الكبرى التي ابتلاهم بها القياصرة في العالم كله فمات منهم الموت الاحمر في تلك القرون نحو بضعة آلاف الف بعضهم شيوخ وشبّان وفتية ونساء وفتيات لم يبالوا باصناف العذاب حبًّا بالدين . ثمّ هجمت على انحاء اوربّة الشعوب البربرية مدة خمسمائة عام من قوط ووسيقوط وهون وفرنك وجرمان فتقاسموا العالم الروماني واسالوا فيه الدماء سيولاً فاين كانّ للكنيسة التسلّط في اوربّة كما زعم الزاعم وقصوى غاية الكنيسة في تلك الاعصار ان تمدّن هذه الامم الجديدة وتلين طباعها وتنيّرها بنبراس الايمان فما حظيت برغائبها الّا بعد الشدائد والضيقات التي لا توصف . هذا مع اشتغال علماء الكنيسة بصيانة المؤمنين من اضاليل الهراطقة وتفنيد مزاعم المبتدعين

نقول (ثالثاً) انّ العلوم لا تنحصر فقط في الفلكيّات او المعارف الطبيعيّة . فانّ

عددها لا يُحصى ومنها ما هو اشرف واعظم من هذه العلوم كالعلوم اللاهوتيّة التي تقرّب من الله عزّ وجلّ والعلوم الكتابيّة التي تحتوي تاريخ الوحي واحوال شعب الله منذ بدء الخليقة والعلوم الفلسفيّة التي تبين اصول الحقائق واركانها والعلوم الادبيّة التي تهذّب القلب وترشد الى الفضائل الانسانية وعلوم اخرى غيرها وترى لعلماء الكنيسة في الشرق والغرب في كل هذه العلوم المجلدات الضخمة التي يقصر عمر البشر عن مطالعة قسم صغير منها نكتفي بذكر تآليف القديس اغوسطينوس في الغرب والقديس يوحنّا فم الذهب او القديس افرام في الشرق . فان اهمل علماء الكنيسة بعض العلوم الطبيعيّة كالفلكيات والرياضيّات ليصرفوا همّتهم الى ما هو اولى وافضل فهل عليهم من حرج ? لا لعمري

نقول (رابعًا) انّ العلوم الفلكيّة لم ترتقِ ترقيًا يُذكر بعد عهد اليونان الاقدمين اعني منذ بطليموس الى ان قام المحدثون منذ ثلاثمائة سنة فاعادوا للعلوم الطبيعيّة اجمالًا والفلكيّة خصوصًا بهاءها القديم بل الاولى ان يقال انّهم ادخلوها في طور لم يخطر على بال احد من الاقدمين وذلك بوضع الآلات الجديدة التي لا تُعدّ الآلات القديمة بالنسبة اليها الّا كملاعب الصبيان . والكنيسة في هذا الطور الجديد حصّة لم ينكرها الّا من ليس له الالمام بالتاريخ فانّ بين عظام الفلكيين او ارباب الطبيعة الذين اشتهروا في هذه القرون الاخيرة اكثر من سبعمائة رجل كانوا من ائمّة الدين او من المتمسكين بعراهُ تمسّكًا لا يُفصم . وقد ضربنا مثالًا في ذلك لمّا وصفنا حديثًا المراصد التي يديرها اليسوعيّون وخدمهم في العالم (راجع المشرق ٥ : ٣٧٩)

نقول (خامسًا) واخيرًا ان كرور الاجيال وما جرى فيها من التقلّبات قد اودت بكثير من الآثار القديمة ولا شك في انّ قسمًا من التآليف المفقودة كانت تبحث في هذه العلوم الطبيعيّة ولا سيّما الفلكيّة كما تشير اليها كتب الخلف

هذه ملاحظات وجب تقديمها لمن احبّ الوقوف على حقائق الامور لئلّا يصوّب سهام الملامة الى الكنيسة ولديها من الحجج ما يؤيّد عذرها لو صحّ فيها قول العذول بانها لم تعقب من يتفرّغ للعلوم الفلكيّة

ولكن هيّا بنا الآن نبحث عن صحّة قول هؤلاء المقرفين فنزنهُ بمعيار العقل وننقدهُ في بوتقة التاريخ فنقول :

انّنا راجعنا مجموع اعمال الآباء والكتبة الكنسيين اللاتينيين في القرون الاثني عشر الاولى التي لا تقلّ عن مئتين وعشرين مجلّدًا ضخمًا يحتوي المجلّد منها على ١٢٠٠ صفحة بنيّف فدوّنّا اسماء الكتب والمقالات الموضوعة في الفلكيات والعلوم الطبيعيّة فهاك ما وجدنا منها يمكن كلّ الباحثين ان يطالعوهُ فيحكموا في انّنا لم نبالغ في دفاعنا عن الكنيسة وآثارها

١ اوّل اثر نجدهُ من اعمال الآباء الفلكيّة كتاباتهم في حساب الفصح فلمّا كان هذا الحساب لا يتمّ الّا بمعارف متعدّدة ودقّة نظر في قاعدة القمر وتقلباته واتفاقه مع حركات الشمس الظاهرة أعملوا الفكر في ذلك ووضعوا التآليف العديدة في بيانه وقد باشروا الامر منذ القرن الثاني في كنائس الشرق والغرب معًا منهم القديس هيپوليتوس في رومية والقديس قبريانوس في قرطجنة والقديس ميليتون في سرديقة واوريجانس في الاسكندريّة واوسابيوس في قيصريّة والكرّم بيدا في انكلترة وكاسيودورس وزير تاودوريك ملك القوط وديونيسيوس الصغير في ايطالية ورابان مور في فرنسة وغيرهم ايضًا وقد عددنا جملة ما كُتب في الحساب الفصحي من الكتب فوجدناها لا تقلّ عن عشرين تأليفًا (١ وبعضُ منها جامع شاملٌ يدهش العقل بسعة علم اصحابها

٢ ومن الآثار الفلكيّة في اعمال الآباء والكتبة الكنسيين شرحهم على بعض فصول الكتب المقدّسة بحيث ورد وصف الافلاك فانّهم انتهزوا تلك الفرصة ليتكلموا في تعريف العلويّات والنجوم. واكثر ما جاء ذلك في تفسيرهم الفصل الاوّل من كتاب التكوين بل خصّص كثيرون من علماء الكنيسة كتبًا ضخمة لهذا الفصل وحدهُ ضمّنوها ابحاثًا عديدة في الاحكام الفلكيّة وهم يدعون هذه الكتب المستقلّة القائمة بذاتها اكساميرون (Hexameron) اي وصف أيام الخليقة الستّة يبلغ البعض منها ٦٠٠ و٧٠٠ صفحة في مطاويها كلّ المباحث التي تُرى في كتب الفلكيين الاقدمين من وصف السماء وافلاكها ونجومها الثوابت والسيارات وخصوصًا الشمس والقمر والارض وما

١) راجع مجموع اعمال الآباء اللاتين لمين ج ٤ ص ٤٢٧؛ و ١٠٢١–١٠٥٢ ثمّ ٥٩ ص ٥٤٥ (في كنايين) ثمّ ج ٦٤ ص ١٣٤٩ ثمّ ج ٦٧ ص ١٩ و٤٨٣–٥٢٠ ثمّ ج ٩٠ ص ٥٧٩ و ٦٤٧ ثمّ ج ١٠٢ ص ٦٦٩–٧٢٧ ثمّ ج ١٢٩ ص ١٢٧٢ ثمّ ج ١٣٧ ص ١٥ وراجع ايضًا مجموع اعمال الآباء اليونان لمين

يلحق بكل منها من المطالب المتعدّدة كالكسوفات والخسوفات والمظاهر الجويّة.
وهذه الكتب ظهرت في الغرب والشرق ممّا منها في الغرب للقديس امبروسيوس (١ ولبطرس ايلاردوس (٢ وللقديس اوجين (٣ وللمكرّم بيدا (٤ ولاسقف مدينة اوتون هونوريوس (٥ ولأرنلدوس الرئيس (٦ ولهوغو من روان (٧ وكتب بعض الآباء اللاتين في هذا المعنى باليونانيّة كالقديس هيبوليتوس او بالشعر اللاتيني ككمتنيوس (٨ وهلديبرت في اكثر من الف بيت (٩ امّا الآباء الشرقيّون فلهم من هذا القبيل التآليف الجليلة باليونانيّة او السريانيّة نخصُّ منهم بالذكر القديس ابيفانيوس والقديس باسيليوس والقديس غريغوريوس النيصصي ويعقوب الرهاوي وقد نقلت الى العربيّة بعض اعمالهم وفي مكتبتنا الشرقيّة قسمٌ منها

٣ ولم يكتفِ جهابذة الكنيسة بذلك وانّما انشأوا التآليف الفلكيّة المستقلّة ورد بعضها في جملة الدوائر العلميّة التي انشأوها في مجموع المعارف البشريّة كدائرة العلوم للقديس ايزيدورس الاشبيلي (١٠ المتوفّى سنة ٦٣٦ في عشرين كتاباً لم يترك علماً من علوم زمانه الّا وبحث فيه فابتدأ بالعلوم اللسانيّة والادبيّة ثم بحث عن العلوم الفلسفيّة والعلوم الرياضيّة والنجوم والطبّ والعالم وظواهره والانسان والارض واقسامها والحجارة الكريمة والزراعة والسياسة والبناء والحرب والالعاب واثاث البيت الخ. وكدائرة أخرى للمكرّم بيدا المتوفّى سنة ٧٣٥ (١١ في نيف وانف صفحة له فيها ابحاث واسعة في العلوم الرياضيّة وعلم الهيئة وعلم النجوم ودوائر الكرة والقطب وفي الاسطرلاب الى غير ذلك ممّا يشهد على فضل هذا الكاتب البارع. وكدائرة ثالثة صنّفها للملك لويس الاوّل ابن كارلوس الكبير ملك فرنسة احد ائمّة العلماء اسمهُ رابان مور المتوفّى سنة ٨٤٤ (١٢

---

١) راجع مجموع الاباء اللاتين ج ١٤ ص ١٣٢ ٢) ج ٧٨ ص ٢٣٠
٣) ج ٨٧ ص ٢٦٩ ٤) ج ١١١ ص ٩
٥) ج ١٧٢ ص ٢٥٢
٦) ج ١٨٩ ص ١٥١٢ ٧) ج ١٩٣ ص ١٣٤٧
٨) ج ٧ ص ٦١ – ٧٧ ٩) ج ١٧١ ص ١٣١٤
١٠) راجع المجموع السابق ج ٨٣ ص ١٠٥٠–١٠٥٠ Isidori Etymologiarum libri XX
١١) ج ٩٠ ص ١٢٢ – ١١٤٥ (V. Bedæ opera didascalica)
١٢) ج ١١١ ص ٩ – ٦٢٢ .Rabanus Maurus: *De Universo, libri* XX

بحث فيها عن كل علوم عصره وافرد قسماً منها للعلويات والعلوم الفلكية والهيئة ووصف البلدان. ولنا دائرة رابعة ألّفها في القرن الثاني عشر هونوريوس من اوتون (١ (١١٣٦ †) ليست اقلّ فائدة من الدوائر السابق ذكرها وهي تشمل قسماً كبيراً من العلوم الفلكيّة التي تفرّد بها هذا الكاتب كما سيأتي

٤ واذا بحثنا الآن عن تآليف الآباء في الفلكيّات والرياضيّات دون غيرها وجدنا لهم مصنّفات عديدة صبرت على آفات الزمان نعدّد هنا بعضها. ألّف الفيلسوف الشهير بوئيسيوس (Boëce) المتوفى سنة ٥٢٥ في الرياضيّات ونقل الى اللاتينيّة قسماً من اعمال اوقليدوس (٢. وصنّف ألكوين (٨٠٤ †) نديم الملك شرلمان مقالة في القمر وسيره وفي كبس السنين (٣. وصنّف كتاباً واسعاً في ذلك رابان مور السابق ذكره (٤. وصنّف للملك نفسه دُنغالوس الحبيس (٥ رسالة في انكسافي الشمس اللذين حدثا سنة ٨١٠. وصنّف في القرن العاشر جربرت (وهو سلفسترس الثاني الذي رقي الكرسي الروماني سنة ٩٩٩) كتباً عديدة في الحساب والمساحة وفي صُنع الكرة وقيل انهُ اول من عُني بذلك وقد اصطنع ساعة بديعة لاوطون الملك (٦. ووضع لهُ معاصرهُ الاسقف ادلبودوس البندكتي رسالة في طريقة وجود حجم الارض (٧. وصنّف فرنكو المعروف بالاستاذ (١٠٦٥ †) تأليفاً في سنة كتب عن تربيع الدائرة (٨. وممّن برز في التآليف الفلكيّة هونوريوس من اوتون لهُ اربعة كتب في علم الهيئة والفلك والآثار الجويّة وكتاب في الشمس وخواصها وثلاثة كتب في العلويات والثوابت والسيّارات والبروج وتقسيم الازمنة والاقاليم السبعة (٩. وصنّف كثيرون في

١) راجع مجموع الآباء اللاتين ج ١٧٢ ٢) ج ٦٣ ص ١٠٧٩–١٢٠١

٣) ج ١٠١ ص ٩٧٦ – ١٠٠١ (De cursu et saltu lunæ ac bissexto)

٤) ج ١٠٧ : ٦٦٩ – ٧٢٧ .

٥) ج ١٠٥ ص ٤٤٧ .De duplici solis eclipsi an. 810

٦) ج ١٣٩ ص ٨٥ – ١٢٧ ٧) ج ١٤٠ ص ١١٠٢

٨) ج ١٤٣ ص ١٣٧٢ Franco scolasticus : *de quadratura circuli*

٩) اعمال الآباء اللاتين ج ١٧٢ ص ١– ١٨٧ (Honorius Augustodunensis : *De philosophia mundi — De solis affectibus — De Imagine mundi*)

الاسطرلاب وتعريفه ومنافعه كيدا الكرّم (١ وهرمان الصغير (٢ وبطرس ابيلردس (٣

٥ ومَن ألَّف في الشرق في العلوم الفلكيَّة والرياضيَّة بين نصارى اليونان مارينوس في القرن الخامس للميلاد وسَنبليقيوس في اوائل القرن السادس وايسيدورس من ملطية وانطيميوس من ترالَّة وهما اللذان بنيا اَيا صوفيًا التي تشهد لهما بالمعارف السامية في الرياضيَّات وتحريك الاثقال واشتهر بعدهما اوتوكيوس العسقلاني تلميذ ايسيدورس شارح كتب ارخميدوس وابولونيوس وبرز في القرن السابع يوحنا النحوي اليعقوبي الشهير صاحب عمرو بن العاص واسطفان الاسكندري المعروف بالرئيس والاستاذ كتب في كلّ العلوم الرياضيَّة والفلكيَّة والكيمويَّة. وبرع في القرن التاسع لاون الرياضي الذي طلبهُ الخليفة المأمون من ملك الروم تاوفيل. واشتهر في القرن الحادي عشر ميخائيل بسالُوس لهُ كتب في كيكلوس السنة وحركات القمر والكسوفات والخسوفات والحساب الفصحي. وممَّن كتبوا في وصف البلاد واوضاعها في القرن السادس قزما المعروف بالهندي (Cosmas Indicopleustes) ولهُ رحلة شهيرة في مجموع الآباء اليونان. واشتهر بعد القرن الحادي عشر غير هؤلاء لا نتعرَّض لذكرهم (٤

وصنف كثيرون من كتبة السريان في العلوم الطبيعيَّة كتبًا تلاعبت بها ايدي الضياع او متروية في زوايا النسيان منها في القرن الثاني كتاب لابن ديصان. وممَّا نجا من آفات الدهر كتابان في فعل القمر وحركة الشمس لسرجيوس الراسعيني وكتاب في صور البروج لساويرس سبُخت وكلاهما ازهر في القرن السابع ونشر تآليفهما العلاَّمة الالمانيّ ساخو: واشتهر في القرن الثامن البطريرك طيموثاوس الاوَّل المعروف بالكبير ويعقوب الرهاوي وجرجس اسقف العرب وقد ضاع كتاب الاوَّل في الفلكيَّات ونُشر قسم من اعمال الاثنين الآخرين. وليعقوب الرهاوي كما سبق كتاب في ستَّة ايَّام الخليقة ضمَّنهُ فصولًا عديدة من العلوم الطبيعيَّة والفلكيَّة والجغرافيَّة. وقد صنَّف في ذلك موسى بركيفا وفي كتابه رسوم حسنة تدلُّ على سعة علمه. وصنَّف ايضًا في المعنى ذاته عمنوئيل بر شهري كتابًا واسعًا بالشعر السرياني في ٢٨ بابًا. وقد سبق لنا في ترجمة

---

١) راجع مجموع الآباء اللاتين ج ٩٠ ص ٩٥٥

٢) ج ١٤٣ ص ١٣٨٩ و١٤٣ ص ٣٧٩ ٣) ج ١٨٨ ص ١٧٦٠

٤) راجع تاريخ الآداب البوزنطية Krumbacher: *Gesch. d. byzant. Litteratur*, SS. 620

غريغوريوس ابن العبري ما وضعهُ هذا العلَّامة الشهير من التآليف الفلكيَّة فليراجع (المشرق ١ : ٥٠٧)

٥ واذا انتقلنا بعد هذا الى ما صنَّفهُ نصارى الشرق باللغة العربيَّة في الرياضيَّات والاجرام الفلكيَّة لرأينا ما يقضي لهم بالشكر الجزيل والثناء العميم. ولا حاجة هنا الى سرد اسماء النصارى الذين نقلوا كتب اليونان والسريان في كل ابواب العلوم الى العربيَّة فانَّ عددهم يُربي على المئتين ومن اراد الاطلاع على اسماء بعضهم فليراجع كتاب الفهرست لابن النديم المطبوع في ليبسيك سنة ١٨٧٢ وكتاب طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة. وانَّما نقتصر فقط على ذكر ما ألَّفهُ هؤلاء الكتبة في العربيَّة وفي بيانها دليل كافٍ على مرتبة اصحابها ومكانهم من العلوم الطبيعيَّة والفلكيَّة خصوصاً

صنَّف عبد الله بن مسرور النصرانيّ كتاب مطرح الشعاع وكتاب تحاويل سني العالم والحكم عليها وكتاب تحاويل سني المواليد (١. ووضع ابو زكريَّا حنّون (ويروى جنُّون) بن عمرو بن يوحنَّا بن الصات كتاب الاحتجاج في صحَّة النجوم والاحكام فيها (٢. وكتب ابو علي عبد الله بن علي الدنداني (ويروى الرنداني) النصرانيّ كتاب صناعة التنجيم (٣. وليوحنَّا بن يوسف بن الحارث بن البطريق المعروف بالقس اختصار جدولين في الهندسة ومقالة في البرهان على انهُ متى وقع خطّ مستقيم على خطَّين مستقيمين موضوعين في سطح واحد صيّر الزاويتين الداخلتين في جهة واحدة انقص من زاويتين قائمتين وكان يوحنَّا ممَّن يُقرأ عليه كتاب اقليدس وغيرهُ من كتب الهندسة (٤. وألَّف ابو بشر متَّى بن يونس النصرانيّ من اهل دير قُنَّى تفسيراً لكتاب السماء للاسكندر وكتاب القايبس الشرطيَّة وكان ابو بشر هذا معاصراً لابي نصر الفارابي (٥. وصنَّف ابو الخير الحسن بن سوار المعروف بابن الخمّار النصرانيّ كتاب الآثار المخيَّلة في الجوّ الحادثة عن البخار المائي وهي الهالة والقوس والضباب ونقل كتاب الآثار العلويَّة عن السريانيَّة (٦. وصنَّف يحيى بن عدي ابو زكريَّاء اليعقوبيّ تفاسير

---

١) راجع كتاب الفهرست ص ٢٧٧ ٢) راجعهُ ص ٢٨٠

٣) راجعهُ ص ٢٨٠ و 132 ٤) راجعهُ ص ٢٨٢

٥) راجع تاريخ ابن العبري ص ٢٩٦ والفهرست ص ٣٢٤ ٦) الفهرست ٢٦٥

على كتب النجوم (١. وصنّف تلميذهُ ابو علي عيسى بن الحق الشهير بابن زُرعة مقالة في السماء (٢. ومقالة في علّة استنارة الكواكب (٣. وكتب في أيام الرشيد يوحنّا بن بختيشوع كتاباً في ما يحتاج اليه الطبيب من علم النجوم (٤. وكتب قبلهُ يوحنا بن ماسويه كتاب الازمنة (٥. وصنّف ابو زيد حنين بن اسحاق العباديّ الشهير كتاباً في المدّ والجزر وكتاباً في الالوان والاهوية والازمنة وكتاباً في الآثار العلويّة ومقالة في قوس قُزَح وكتاباً في الشمس والقمر وكتاباً في السماء والعالم وكتاباً في تركيب العين وصنّف من بعده ابنهُ اسحاق بن حنين شرحاً مختصراً لكتاب اوقليدس (٦. وصنّف الاسقف ربيع بن زيد القرطبي في الاندلس في القرن العاشر كتباً فلكيّة ذكرها المقّري

ومن افاضل كتبة النصارى قسطا بن لوقا البعلبكيّ الذي الّف كتباً عديدة في كل العلوم ومن تآليفهِ في الطبيعيّات والنجوم كتاب المرايا المحرقة وكتاب الاوزان والمكاييل وكتاب في المروحة واسباب الريح وكتاب العمل بالكُرة النجومية وكتاب المدخل الى علم الهندسة وكتاب شكوك كتاب اقليدس وكتاب المدخل الى علم النجوم وكتاب في استخراج مسائل عدديّة من المقالة الثالثة من اوقليدس وكتاب تفسير ثلاث مقالات ونصف من كتاب ديوفنطس في المسائل العدديّة وكتاب الفلاحة (٧. وممّن كتب منهم بالكيمياء اصطفن الراهب المترهّب في عُمر مار مخائيل قريباً من الموصل عدّد لهُ ابن النديم في كتاب الفهرست ستّة كتب في الكيمياء. وذكر لهُ كتاباً في الاوقاف والازمنة (٨. وللنصارى السريان كتب كيمويّة عديدة نشرها في عهدنا الكيمويّ الشهير برتلو (Berthelot) ونقلها الى الفرنسويّة وعلّق عليها التعاليق وبيّن فضلها على الكتب العربيّة بهذا الخصوص

هذه نبذةٌ وجيزة تُطلع قرّاء المشرق على انّ الكنيسة لم تهمل العلوم الطبيعيّة في القرون الاثني عشر الاولى كما زعم الزاعم ولو اردنا برهاناً آخر على ذلك لوجدناهُ في المدارس التي انشأتها الكنيسة في توالي الاجيال وكان فيها للعلوم الطبيعيّة والرياضيّات والفلكيّات نصيب طيّب كمدرسة الاسكندريّة الشهيرة في القرن الثاني والثالث للمسيح

١) راجع الفهرست ص ٢٦٤ ٢) راجعهُ ايضاً ٣) كتاب طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة ج ص ٢٢٦ ٤) راجعهُ ص ٣٠٢ ٥) راجعهُ ص ١٨٣
٦) راجعهُ ص ٢٠٠ الى ٢٠٢ ٧) راجع الفهرست ص ٢٩٥ وطبقات الاطبّاء ج ١ ص ٢٤٥ ٨) الفهرست ص ٣٥٦

ومدارس نصيبين والرها وبيروت في القرن الرابع والخامس ومدرسة جنديسابور في القرن السادس والسابع ثمّ مدارس رومية واسبانية على عهد غريغوريوس الكبير ومدرسة إكس لاشابال في ايام الملك شرلمان ومدارس القسطنطينيّة في القرن التاسع والعاشر وليست التآليف التي ذكرناها سوى اثار تلك الرياض الفيحاء نضجت رغماً عمّا دهم تلك العصور من آفات الحروب وغزوات البرابرة الذين هجموا على العالم الروماني من كلّ صوب

وقد اقتصرنا في هذه المقالة على العلوم الطبيعيّة والفلكيّة ولو حاولنا البحث عن علوم أُخرى وفنون تلحق بها كعلم البناء مثلاً وعلم الجغرافية والرحل وعلم الحيوان والمعادن والحجارة الكريمة والنبات والعلوم الطبيّة والموسيقى لاتّسع بنا المجال وتحقّق القارئ بان النصرانيّة لم تدع صنفاً من المعارف البشريّة دون ان تخوض في عبابه حتى في الاجيال التي يدعوها البعض اوان الجهل وقرون الظلمة. لكنّنا نضبط الآن عند هذا الحدّ عنان القلم مؤمّلين بان اصحاب النقد المنصفين لا يعودون يقرفون الكنيسة بما هي براء منهُ ويستندون الى أقوال ذوي الغايات كسيديليو (Sédillot) ولوبون (Lebon) وغيرهما ممّن لا يعدّهم العلماء في جملة الأثبات الثقات هدانا الله واياهم الى سواء السبيل

ترجمة السيد المفضال

دير ارسين ايدنيان

بقلم حضرة الاب الفاضل دير نرسيس صائغيان

في ٢١ تموز من العام المنصرم فقدت المّلة الارمنيّة احد فطاحل علمائها وفحول ادبائها بل اكبرهم واسماهم وزعيمهم ونبراسهم ألا وهو السيد الجليل والحبر النبيل دير أرسين ايدنيان رئيس العام للرهبان المختاريين المقيمين في فينّة ولهُ من العمر ٧٧ سنة فتكت بهِ يد المنيّة وسحبت على القلوب غيوم الاحزان والحقّ يقال ان الرزيّة عظيمة والخسارة كبيرة بوفاة هذا العلامّة الجليل الذي خدم آداب احدى الطوائف الشرقيّة

خدمةً تذكر فمن الواجب علينا اذًا ان نورد لمة من اعماله المبرورة رغبةً في تخليد ذكرهِ وافادة لجمهور الشرقيين

وُلد الفقيد في الاستانة العلية من ابوين فاضلين في ٧ تشرين الثاني سنة ١٨٢٥. ومنذ نعومة اظفاره انكبَّ على الدروس الاوليَّة بكل نشاط وجهد وكان الولد ذا فهم متوقد وذكاء غريزيّ تلوح على جبينه الغرّاء ملامح النجابة وامائر النباهة. فلمَّا بلغ العاشرة من عمره طلب ان يترهب ولذلك أُرسل الى فيَنَّة عند الرهبان المختاريين فهناك اقبل على درس العلوم والفنون المتنوعة واللغات المختلفة فنجح نجاحًا لا مزيد عليه ونبغ في جميع اصناف المعارف مع ما كان يزيّن بهِ نفسهُ من الفضائل الرهبانيَّة حتى رقي الى درجة الكهنوت سنة ١٨٤٥ وسمّي ارسين

وما لبث بعد ذاك العهد بقليل حتى صار الاب ارسين كسراج موضوع فوق منارة العلوم والآداب الارمنيَّة لم يزل نوره الضئيل في باديء ذي بدء يزهو ويشع حتى اضحى ضوءًا ساطعًا لامعًا لا يخفى بهاؤُهُ على كل ذي بصر لانهُ ما كادت تمضي على سيامتهِ بضعة اسابيع الّا وشرع يترجم الى الارمنيَّة احدى خطب كيكيرون البليغ المصقع بقلم عسجدي ولسان ذهبي. وبعد هذا اخذ يقابل جميع المخطوطات او نسخ الكتاب المقدس الارمنية مع بعضها ويدوّن ما يوجد بينها من الروايات والاقوال المختلفة بكدّ وجدّ لا يعرفان مللًا حتى انجز هذا العمل الخطير. وفي سنة ١٨٤٧ صنع كرة ارضيَّة كبيرة الدائرة باحرف ارمنيَّة قضت العجب من رئيس الجمعية الجغرافية في فيَنَّة. ثم باشر سنة ١٨٥١ بعمل كرة أُخرى باحرف عربية لم تزل بلا طبع

وفي السنة المذكورة أُرسل الاب ارسين الى ازمير بصفة معلّم فقام بهذه المهنة الشاقَّة قيامًا نمَّ ابدى في اثنائها عن كل جدارة وغيرة حتى السنة ١٨٥٦. وفي هذه المدَّة اتقن فن التصوير اليدوي بجرد جيده اتقانًا كاملًا ولهُ عدَّة تصاوير دينية جميلة للغاية نخص منها بالذكر صورة الثالوث الاقدس التي تخلب ألباب الناظرين اليها

وفي سنة خروجه من وظيفة التعليم سافر الى اوربَّة فجال في بعض بلاد فرنسة وايطالية ثم عاد الى فيَنَّة وهناك شرع بعمل خطير وتأليف اثير لم نجد لهُ في الارمنيَّة نظيرًا وهو كتاب عبارة عن ٥٠٠ صفحة يُقسم الى ثلاثة اقسام عنوانه الصرف البحثي للارمنية الحديثة او العامية خرج الى حيز الوجود سنة ١٨٦٦ فادهش كل من تصفَّحهُ وتوغَّل

في فحصه . ففي القسم الاول وهو الاكبر شأناً يبحث المؤلف البارع عن اصل الارمنية العامة وجوهرها واقسامها او شُعَبها فتراه يخوض ويغوص ويتعمق في هذه المواضيع العويصة والأبحاث الغامضة ولم يخرج من غمارها واعماقها حتى يأتي بفوائد فرائد وعجائب غرائب تحيّر العقول وتجلب العجب حتى لا يتماسك اللسان عن الهتاف: لله درها قريحةً متوقدة ويا لهُ من علم واسع وعقل ثاقب بل نابغة فهّامة لا يجاريه نظير

والقسم الثاني يتضمن قواعد صرفية للغة الحديثة اودعها صاحب الكتاب ابحاثاً جليلة مدهشة للغة القديمة واما القسم الثالث فيحتوي على نظر لهُ في صرف اللغة القديمة مع فوائد جمّة فهذا الكتاب احدى آيات العقل البشري اضحى اليوم في الطائفة الارمنية كدستور يُرجع اليهِ ومورد يستقي منهُ جميع الصرفيين والمحررين باللغة الحديثة التي جعلها المؤلف الجليل على اساس ثابت واركان وطيدة تضمن لها دوام حياتها النافذة

وللفقيد غير هذا صرف مطوَّل للغة القديمة فاق جميع سوابقهِ وهو تحفة في بابهِ ولهُ ايضاً عدةّ تآليف نفيسة ومقالات عديدة نصفح عن ذكرها لنتبعهُ الى الاستانة حيث عُين سنة ١٨٦٧ مديراً للمدرسة المختصة بجمعيّتهِ ومثقّفاً لاولاد طائفتهِ فاقام بوظيفتهِ هذه احسن قيام ونبغ في أيام ادارتهِ رجال اجلاء اشتهر منهم كثيرون بعدئذٍ في المناصب الرفيعة والمراتب السياسية وبرع غيرهم بالكتابة

لكن سنة ١٨٧٦ انسحب عن وظيفتهِ هذه مستعفياً واخذ يبحث عن الموسيقى الارمنية الكنسية بعناء مفرط وبحث دقيق لانهُ كان متضلعاً في هذا الفن ايضاً وهو اول من رتب الموسيقى الطقسية وضبط الالحان القداس الالهي بعلامات اوربيّة وعلقها حسب مطالب الفن الحديث لكن مع محافظة كلية على روح واصول الموسيقى الارمنية المهيبة . فنجح في مشروعه هذا نجاحاً كاملاً والدليل على ذلك انهُ لما قُدمت الذبيحة الالهية في فينة سنة ١٨٨٤ على هذا النسق الجديد وبمرافقة آلات الموسيقى هاجت نفوس الحاضرين وخاصّةً من الاكليروس اللاتيني وكان التأثير على قلوبهم عظيماً حتى كادت تسيل العبرات من المدامع وردّدوا عبارات الشكر بقولهم: هكذا كان يتصوّر القديس يوحنا فم الذهب وامثاله هكذا كان يشعر القديس امبروسيوس ونظراؤهُ وبلا ريب هكذا كانت ترتل آباء الكنيسة الارمنية القديسون. هذا التأثير بذاتهِ شاهدتهُ كنيسة المختارين مرة أُخرى سنة ١٨٨٧ يوم سيامة الفقيد مطراناً لانهُ بعد

ان تقلّب في مناصب عديدة أنتخب رئيساً عاماً لرهبانيته تقريباً بصوت واحد سنة ١٨٨٦ ثمَّ سُقِف في العام التالي حسب العادة المألوفة فجُعل رئيس اساقفة على سلامينة (قبرس) شرفًا بيد المثلث الرحمة السيد اسطفان عازريان وكانت الحفلة شائقة جدًّا

والحق يقال ان المنتخب حقّق آمال المُنتخِبين واتى باعمال مبرورة وخدم مشكورة فنمت الجمعيَّة وازهرت في أيام رئاسته وكسبت رونق لا سابق لهُ وبهاء عظيم فباهتمامه نشئت مجلَّة علمية تاريخية وادبية تصدر مرَّة في الشهر طارت شهرتهـا في الغرب والشرق

وهو الذي وسَّع نطاق موادّ الدروس وادخل المطبعـة الكبرى في طور جديد فصارت كاملة الاهبة تامَّة الادوات لا ينقصها شيء من الاكتشافات الحديثة واخترع ايضًا حروفًا جديدة ونقوشًا بديعة وزخارف جميـة تزيّن اليوم جيود الكتب والمجلّات الارمنية وليس في هذا من العجب لان الفقيد كان ذا فكر واسع لهُ المامٌ تقريبًا في كل علم وفنّ كما كان متضلعًا في لغات عديدة كاليونانية القديمة والحديثة واللاتينية والايطالية والفرنسية والانكليزيَّة والالمانية والسنكريتية والسريانية والعبرانية والفارسية والتركية والعربية التي يتكلم عن احوالها في بعض حواشي الصرف البحثي (الذي وضعناهُ آنفًا) يصفها كاحد ابناء العرب وكان اذا افاض في موضوعٍ ما تكلّم باسهاب ودقّة كليّة وجمل القول كان دائرة معارف حيَّة صارت اليوم الى كان

ولكن رغمًا عن سعة علمه هذا ومعارفه كان الفقيد متواضعًا وديعًا لين العريكة ذا رقّة وشهامة مترينًا بمزايا وفضائل شتّى داومهـا حتى ساعة موته الذي فاجأهُ بعد منتصف الليل في مصيف جمعيّته بضيعة ماوير وصـار لهُ مأتم حافل كما يليق برجل عالم عامل. وكان مكرّمًا محبوبًا من دولتنا العلية ادامها الله ومن الدولة النمساويَّة والكرسي الرسولي وتشرَّف بالوسام المجيدي من الطبقة الثالثـة والصليب الكبير وعدَّة القاب شرفيـة مختصة بالبلاط الواتيكاني ولا حاجة للقول انهُ كان ملفانًا في اللاهوت ايضًا

فعلى نابغة كهذا نبكي اليوم بعيون مدرارة وتبكي معنا الآداب الارمنية لانهـا فقدت حبيبها ومعززها ولكن ما العمل انّا لله وانّا اليه راجعون ولنا تعزيةٌ بتركته العلمية وتلامذته الذين خلّفهم لنا كآباء افاضل وعلماء فطاحل نخصُّ منهم بالذكر الاب هاكوب

داشيان الذي طار صيتهُ في كل اوربَّة وكما يان سوف يفوق رئيسه ومعلمه الغائب برَّد الله مثواه بوابل رضوانه واسكنهُ فسيح جنانه آمين *

ديوان المتلمّس

عُني بنشرهِ وتعليق حواشيهِ الاب لويس شيخو اليسوعيّ

لاحق بسابق (راجع المشرق ٥ : ١٠٥٧)

١ اوَّل قصيدةٍ نقلها الرواة عن المتلمس وبها يُفتتح ديوانهُ في نسخهِ الثلاث التي وصفناها هي ميميَّتهُ الشهيرة انشدها لمَّا بلغهُ قول الحارث بن التوأم والحارث بن جلدة امام عمرو بن هند في نسبهِ انهُ مشكوك فيهِ (راجع المشرق ٥ : ١٠٥٩). وهذه الابيات كلها منتخبة جيدة. قال ابو عبيدة (في الاغاني ٢١ : ٢٠٩): ولم اسمع لاحدٍ بمثل هذه الابيات حكمةً وامثالًا من اولها الى آخرها (من الطويل)

يُعيّرُني أمّي رِجالٌ ولا ارى اخا كَرَمٍ إلّا بِأَنْ يَتَكَرَّما

(الروايات): في نسخة لندن (ل): تُعيّرني . . . ولن ترى. وفي الاغاني (٢١ : ٢٠٩): تَعَيَّرَني امّي . . ولن ترى. فتكون «تعيَّرهُ» كقولك تنقَّصهُ. ولم نجد لهذا الوزن ذكرًا في كتب اللغة. وفي حواشي النسخ الثلاث وفي لسان العرب رواية أُخرى حسنة للشطر الاوَّل: تكرَّمْ لتعتادَ الجميل فلن ترى. (التعريب) قال في نسخة (ل): يُعيّرني امّي اي بأُمي فحذف الباء. قال ابن قتيبة في ادب الكاتب (ص ٤٤٧ من طبعة ليدن): وتقول: عيَّرتني كذا ولا يقال عيَّرتني بكذا. قال النابغة (يذكر هربهُ من المنذر):

وعيَّرتني بنو ذبيان رهبتَهُ وهل عليَّ بان اخشاكَ من عارِ

وفي المصباح للفيُّومي: عيَّرهُ كذا وبكذا. والافصح ان يُعدَّى الفعل بنفسهِ. (المعنى) قد قبَّح عليَّ رجال ونسبوا الى أُمّي العار ولو كانوا احرارًا لما فعلوا لانَّ الكريم الحرَّ يأتي بفعال الكرام

وَمَنْ كانَ ذا عِرْضٍ كَريمٍ فلَمْ يَصُنْ لَهُ حَسَبًا كانَ اللَّئيمَ المُذَمَّما

(الروايات) روى كثيرون: ولم يَصُن. وفي نسخة (ل): كان اللئيم المُرَغَّما. قال هبة

---

* اخذت هذه التفاصيل من اوثق المصادر واصدقها فضلًا عمَّا عرفته بنفسي

الله العلويّ في ديوان مختارات شعراء العرب (ص ٣١). و يروى: ومن كان ذا مال كثير . . . .كان اللئيم المُلَوَّما. (التريب) قال هبة الله المذكور: العرْض موضع المدح والذمّ من الرجل يُقال انهُ كريم العِرْض ولئيم العرض. والعِرْض الجسد يقال انهُ لطيّب العرض وخبيث العرض. والحَسَب كرم الفعل من الانسان وان لم يكن لهُ ابٌ في الشرف والجد. ويقال افعلْ ذلك على حَسَب ما ترى اي على قَدْره. (المعنى) انَّ الكريم الطيّب العنصر يصون شرفهُ ولولا ذلك لعُدَّ لئيماً واستوجب الذمّ

أَحَارِثُ إِنَّا لَوْ تُسَاطُ دِمَاؤُنَا تَزَيَّلْنَ حَتَّى لَا يَمَسَّ دَمٌ دَمَا

(الروايات) في نسخة مصر (م): تُشاطُ. وروى العلوي في مختارات شعراء العرب (ص٣١): لو تَساقَط . . . تَزَايَلْنَ. ومثلهُ في شرح شواهد التلخيص (١: ٣٤٨). (التريب) سَاطَ يَسُوط خلط. ومثلهُ شاط. وقيل شاطهُ هدَرَهُ. تَزَيَّل افترق وابتعد. (المعنى) ورد في نُسَخ الديوان: اي لا تمتاط دماؤنا ويُعرَف هذا من ذاك فانَّ دماء الملوك كريمة لا تمتاط بدماء غيرهم (ويروى: خلاف دماء غيرهم) وهذا كما قيل انا معروف في حياتي وفي موتي. وقال في الاغاني (٢١: ٢٠٨): يقول لو خُلطت دماؤنا ودماؤكم لتزايلت وتميّزت من بُعد ما بيننا وهذا كما قال الآخر:

لعمرُك انّني وابا رياحٍ على طول التهاجر منذ حين
لَيُبْغِضُني وأُبغضُهُ وايضاً يراني دونهُ واراهُ دوني
فلو انّا على حجرٍ ذُبِحنا جرى الدَّميان (كذا) بالخبرِ اليقين

وخلاصة معنى البيت: اسأتَ يا حارثُ بتعييرك وفعلتَ فعلاً ذميماً لم يأتهِ كريمٌ قبلي فصار بيننا بُعد وتباين حتَّى لو مُزجت دماؤنا يوماً لتنافرت وتميّزت حتَّى تأبى ان تمتاط. (التاريخ) حارثٌ هو احد الحارثين اللَّذين عيَّرا المتلمّس امّهُ اي الحارث بن التوأم اليشكري او الحارث ابن حِلِّزة. (الانتقاد) قال في الاغاني: « قال ابن قتيبة: وممّا يُعاب من قول المتلمّس قولهُ « احارثُ » البيت. وهذا من الكذب والافراط. ومثلهُ قول رجل من بني شيبان كنتُ اسيراً مع بني عمٍّ لي وفينا جماعة من موالينا في ايدي الثعالبة فضربوا اعناق بني عمّي واعناق الموالي على وهدة من الارض فكنتُ والله ارى دمَ العربيّ ينماز من دم المولى حتَّى ارى بياض الارض من بينهما فاذا كان هجيناً قام فوقهُ ولم يتنزل عنهُ ». وعندنا انَّ هذا البيت من اشكال البديع وهو داخل في باب المبالغة والغلوّ. قال ابو عليّ الحاتميّ في (الاغاني ٢١: ٢٠٩): اشردُ مثلٍ قيل في البُغض قول المتلمّس « احارثُ » البيت. حكى ذلك ابو عبيدة وزعم انهُ اسْيَر مثلٍ في البُغض

أَمُنْتَقِلاً مِنْ آلِ بُهْثَةَ خِلْتَنِي أَلَا إِنَّنِي مِنْهُمْ وَإِنْ كُنْتُ أَيْنَمَا

(الروايات) جاء في شرح الديوان: قال ابو اسحاق ويروى: مُنْتَغِلاً بالغاء. وفي الاغاني (٢١: ١٨٧) وفي مختارات شعراء العرب للعلوي (ص ٣١): أَمُنْتَفِيًا من نَصْر بُهْثَة. (التريب) انتقل منهُ وانتغل منهُ وانتفى منهُ بمعنى واحد اي (تبرَّأ عن عمرو الشيبانيّ). وقال العلويّ: يقال للرجل

يُرَى بشيء: انقُلْ ذلك عن نفسك اي أنفِهِ. وقولهُ «وابنا» يريد اينما كُنت اي انا منهم وان كنتُ اينا كنتُ فاقتصر. كما قال النَّمِر:

فانَّ المنيَّة مَنْ يَخْشَها فسوفَ تصادِفُهُ اينا

اعني اينا حلَّ وصار. (التاريخ) نَصْر فرعٌ من جُشَم وجُشَم من ضُبَيعة وهو جُشَم بن وَهْب ابن جُلَيّ بن احمس بن ضبيعة (اغاني ٢١ :١٨٧) وقيل جُشَم بن حارث بن وَهب (خزانة الادب ٤ :٢١٦). وقيل جُشَم بن حرب بن جُلَيّ (نسخة ل). اماّ (المعنى) فيقول لا تظنّ انني اتبرّأ من بني ضبيعة قومي فانني انتسب اليهم حيثما اكون واينا حللتُ

أَلَا إِنَّنِي مِنْهُمْ وَعِرْضِي عِرْضُهُمْ كَذِي ٱلْأَنْفِ يَحْمِي أَنْفَهُ أَنْ يُكَشَّمَا

(الروايات) روى في خزانة الادب لعبد القادر بن عمر البغدادي (٤ :٢١٥): أنْ يُهَشَّما. وروى العلويّ (ص٢١): ان يُصَلَّما. (الغريب) جاء في شرح النسخ الخطيَّة وفي منتخبات شعراء العرب (ص ٢١): يقال جدع انفهُ اذا قطع طرفهُ. ويقال: كشَم انفهُ واوعبهُ واستوعبهُ وصلمهُ واصطلمهُ اذا استأصلهُ. وقال العلويّ: اصطلم انفهُ واجشَمهُ (كذا ولعلّ الصواب اجثّهُ) واقتلَمهُ واقتبَّهُ واجتلَمَهُ هذه اربعة الفاظ للانف دون الاذن. (المعنى) قالهُ العلويّ: اي انا من حيّهم فاحمي حمام كما يحمي ذو الانف انفهُ ان يُقطَع

وَإِنَّ نِصَابِي إِنْ سَأَلْتَ وَأُسْرَتِي مِنَ ٱلنَّاسِ حَيٌّ يَقْتَنُونَ ٱلْمُزَنَّمَا

(الروايات) في نسخة لندن: وانَّ تصابي. وهو تصحيف. وروى في الاغاني (٢١ :١٨٧): من الناس قوم يَفتَنِتون (كذا). (الغريب) جاء شرحهُ في الديوان وفي منتخبات شعراء العرب (ص ٢١): (النصاب) الاصل. و(الأُسرة) القبيلة والعشيرة الذين أُسِر جم اي قويَ جم. و(يقتنونهُ) يتخذونهُ قنية. واصلهُ من اللزوم والامساك. يقال اقنُ حياءك اي الزمهُ. وهو مال قِنْية ومال قِنْوة وقُنيان ومنهُ قول رؤبة: «انك تقنوني بالإلحافِ» اي تُلزمنيهِ. قال ابو اسحاق: قد قَنِيَ حياءهُ كقولك بَقِيَ: ويَقنَى مثل يَبقَى. ويقال لاقنونَّك قناوتك. ولأمنونَّك مِناوتك ولأشكمنَّك شُكمك ولأشكدنَّك شُكدك اي لاجزينَّك جزاءك. والمزنَّم الذي سِمَتُهُ الترنيم وهو ان تقشَّر جلدة الاذن وتفتل فتبقى زنمةٌ تنوس اي تضطرب. وقال العلويّ: والترنيم ان تُشَقَّ اذن البعير من اعلاها شقَّين او ثلاثة ثمَّ تُترَك تنوس معلَّقةً فذلك الترنيم والترعيل يقال زنَّمها ورعَّلها. (المعنى) وان سألت عن نسبي اعلمتك باني من عشيرةٍ ذات ثروة يملك اهلها المواشي والمال الواسع

وَكُنَّا إِذَا ٱلْجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ أَقَمْنَا لَهُ مِنْ مَيْلِهِ فَتَقَوَّمَا

(الروايات) في نسخة لندن: من صَعْره. (الغريب) قال في الديوان: صعَّر خَدَّهُ اي امال خدَّهُ في جانب من الكبر. يقال: رجل أصعَر اذا كان مائل العُنُق في جانبٍ. قال العلويّ (ص ٢٢): الصَّعَر الميل. والعرب تقول: واللهِ لأُقيمنَّ صَعَرهُ وصَيَدَهُ وقَذَلَهُ وصَنَاهُ وأَوَدَهُ

وأَدَدَهُ. يُقال آوَدَ العُود وأَوِدَ وعَوِجَ وعَصِلَ اذا اعوجَّ. (المعنى) انّنا نضلًا عن ثروة قومنا نكسر من زَهْو المتكبّر الذي يكابرنا فنقوّم خدَّهُ المائل إشرافًا وكبرًا. (الانتقاد) يقال انَّ هذا البيت افخر بيتٍ قالتهُ العرب. ومثلهُ قول الآخر:

وكُنّا اذا الجبَّار صعَّر خدَّهُ ضربناهُ حتَّى تستقيم الاخادعُ

لِذِي ٱلْحِلْمِ قَبْلَ ٱلْيَوْمِ مَا تُقْرَعُ ٱلْعَصَا وَمَا عُلِّمَ ٱلْإِنْسَانُ إِلَّا لِيَعْلَمَا

(الروايات) رُوي في نسخة لُنْدن: يُقْرَعُ العصا. (الغريب) ما زائدة. وقَرْعِ العصا كناية عن التنبيه. وعُلِّم أُنذر ونُبِّه. (المعنى) يخاطب الحارث بن التوأم فيقول لهُ قد نبَّهتك وأنذرتُك كما أُنذر سابقًا ذو الحِلْم بقَرْعِ العصا: (التاريخ) قد اختلف الرواة في ذي الحِلْم الذي قُرعت لهُ العصا. فيدَّعي بنو دَوْس انَّ ذا الحلم هو عمرو بن حُمَمَة الدَّوسي. ويقول بنو قيس انهُ عامر بن ظرب وهذا اصحّ واكثر على افواه العلماء. وادَّعاهُ بعض بني قيس بن ثعلبة لسعد بن مالك بن ضبيعة ابن قيس. وجاء في الاغاني (٣: ٢) عن ابن حبيب انَّ ربيعة تدَّعي المثل لعبد الله بن عمرو بن الحرث ابن همام واليمن تدَّعيهِ لربيعة بن مخاشن وهو ذو الاعواد. واما خبر المثل فورد على صورتين قيل انَّ عامر بن ظرب كان طعن في السن حتَّى اربى على مئة سنة (وقيل مئتي سنة) وكان حَكَمًا على العرب فلحظ بنوهُ انهُ رُبَّما اخطأ في حكمهِ فنبَّهوهُ على ذلك فقال لهم: اذا رأيتموني خرجت من كلامي واخذتُ في غيره فاقرعوا لي العصا. فتولَّت ذلك ابنتهُ وكانت اذا قرعت لهُ بالعصا ثاب اليهِ حلمهُ فاصاب في حكمهِ (راجع الاغاني ٣: ٢ و ٢١: ٢٠٤) ورُوي مثل هذا الخبر عن عمرو بن حُمَمَة. اما بنو قيس بن ثعلبة فيروون الخبر على صورة أُخرى يقولون انَّ سعد بن مالك كان نديمًا للنعمان الاكبر فغضب النعمان على اخيهِ عمرو بن مالك واراد قتلهُ ان اساء الجواب في مسئلة فنجاهُ اخوهُ سعد بن مالك بان اشار اليهِ بعصاه ونبَّههُ على الجواب فانتبه عمرو واحسن الجواب فنجا وقال سعد في ذلك:

قرعتُ العصا حتَّى تبيَّن صاحبي ولم تكُ لولا ذاك للقوم تُقرَعُ

فنجَّى بها حوباء نفسٍ كريمةٍ وقد كاد لولا ذاك فيهم يُقطَّعُ

ولذلك رواية طويلة تجدها في الاغاني (٢١: ٢٠٤) وفي امثال الميداني (١: ٢٢) وغيرهما. وقد اكثر العرب من ذكر ذي الحِلم قال الحرث بن وعلة:

وزعمتَ ان لا حلومَ لنا انَّ العصا قُرِعتْ لذي الحِلْمِ

وقد عرَّض المتلمّس بالحارث بن التوأم في هذا فيقول لهُ: قد قرعتك بهذا الكلام كما كان يُصنَع بذي الحلم. (الانتقاد) جاء في نسخ الديوان قول الاصمعيّ بعد هذا البيت: انَّ المتلمّس احد فحول الرؤساء. وقال ابو عبيدة: ما سبق المتلمّس الى مثل هذا المثل. وفي صحاح الجوهريّ بيت عدَّهُ البعض تابعًا للبيت السابق وهو:

تحلَّمْ عن الادْنَيْنَ واستَبْقِ ودَّهم ولن تستطيعَ الحلمَ حتَّى تحلَّما

استشهد بهِ في مادَّة حلم. وقال: تحلَّم اي تكلَّف الحلم

وَلَوْ غَيْرُ اَخْوَالِي اَرَادُوا نَقِيصَتِي جَعَلْتُ لَهُمْ فَوْقَ ٱلْعَرَانِينِ مِيسَمَا

(الروايات) روى الزمخشري في الكشّاف: غير اخوالي. ويروى في نسخة مصر: اذادوا نقيصتي وهو تصحيف. (الغريب) العرانين الانوف. قال في مختارات شعراء العرب: العِرْنين اعلى قصبة الانف وهو المِعْطَس وهو النُّخرة. ويقال لثقبهِ السمُّ وكذلك ثقب كلّ شيء اذا ضاق فهو سمّ. ويقال للحاجز في الوسط الوترة ويقال لطرفهِ الرَّوْثة والمَرْتَمَة والخَنْثرمة وهي الارنبة. والمِيسَم العلامة. (المعنى) يقول لو لم يكن الذين عيَّروني اي من قرابتي لوسمتُهم على انوفهم اي هجوتهم هجاء يلزمهم لزوم الميسم في الانف ووسمتُهم بسمة من الذلّ اشتهروا بها فلم يمكنهم اخفاؤها. (الانتقاد) هذا البيت قد استشهد بهِ المبرّد في الكامل (ص ١٥٨ من طبعة ليبسك) وقال انهُ يشبه قول حاتم: «لو ذات سوار لطمتني». يريد انّ «غير» مرفوعة بفعل يفسره الفعل الظاهر والتقدير «لو اراد غير اخواني»

وَهَلْ لِيَ اُمٌّ غَيْرُهَا اِنْ تَرَكْتُهَا اَبَى ٱللّٰهُ اِلَّا اَنْ اَكُونَ لَهَا ٱبْنَمَا

روى العيني (٤: ٥٦٨): ان ذكرتُها. (الغريب) اراد «ان اكون لها ابنًا» فزاد الميم كما تزاد في زُرْقم لشديد الزرقة وفُسْحم افسح الصدر وشَدْقَم اتمّ الشدق وشَجْعم للشجاع. قال حسّان:

ولدنا بني العنقاء وابنَيْ محرّقٍ فاكرمْ بنا خالًا واكرمْ بنا ابنما

وقال الهُذلي:

تماورتما ثوب العقوقِ كلاكما ابٌ غيرُ برٍّ وابنمٌ غير واصل

وجاء في تاج العروس: وهمزة ابنم همزة وصل. قال سيبويهِ وكأنّ زيادة الميم في «ابنم» أمثل قليلًا لانّ الاسم محذوف اللام فكأنها عوضٌ منها وليس في فُسْحم ونحوهِ حذف. وقال ابو الهيثم: اذا زيدت الميم فيهِ فيُعرب من مكانين يقال: هذا ابنُمُك بضمّ النون والميم ومررت بابنِمِك بكسرهما ورأيتُ ابنَمَك بفتحهما. ومنهم مَن يعربهُ من مكان واحد فيعرب الميم لانها صارت آخر الاسم ويدع النون مفتوحة على كلّ حال فيقول هذا ابنَمُكَ الخ. وابنم لا تثنّى ولا تُجمَع الّا انَّ الكُمَيت ثنَّاهُ فقال:

ومنّا ضرارٌ وابنَماهُ وحاجبٌ مؤرّث نيران العداوة لا المُخبي

(المعنى) واضح. يُنكر الشاعر انّ لهُ امًّا غير امّهِ فهيهات ان يجحد نسبهُ واصلهُ. (الانتقاد) جاء في الاغاني (٢١: ٢٠٦) عن ابي عبيدة: انّ هذا اشردُ مثلٍ قيل في الامّهات

وَمَا كُنْتُ اِلَّا مِثْلَ قَاطِعِ كَفِّهِ بِكَفٍّ لَهُ اُخْرَى فَاَصْبَحَ اَجْذَمَا

(الروايات) جاء في شرح شواهد الكشّاف (ص ١٢٢): «وهل كنتُ... عليهِ تُقدُّما».
(الغريب) الاجذم والاقطع واحد اي المقطوع احدى يديهِ. وجذمتُ الحبل قطعتهُ ورجل بجذامة ومجذام اي مقطاع للامر. (المعنى) قال ابو عبيدة في شرحهِ: يريد انهُ فيما صنع بهِ اخوالهُ بمنزلة

من قطع احدى يديهِ بالاخرى فلو هجاهم وكانهم كان بمنزلة من قطع يدهُ الاخرى فيبقى اجذم فامسك عنهم » . وقد اخذ هذا المعنى من قال :

قومي هُمُ قتلوا أُميمَ اخي　　فلئن رميتُ يُصيبني سهمي
ولئن عفوتُ لَاعفُوَنْ جَلَلًا　　ولئن جنيتُ لَأُوهِنَنْ عظمي

يَدَاهُ اَصَابَتْ هٰذِهِ حَتْفَ هٰذِهِ　　فَلَمْ تَجِدِ ٱلْاُخْرَى عَلَيْهَا مُقَدَّمَا

(الروايات) روى في مختارات شعراء العرب (ص٢٢) : لم يَجِد . وفي الاغاني : تَقَدُّما. (الغريب) الحَتْف الموت . جعل قطع اليد بمنزلة موتها . (والمعنى) تتمة لمعنى البيت السابق اي انَّ اليد القاطعة لاختها لا تجد نفعاً بذلك او بالاحرى انها تؤذي نفسها

فَلَمَّا ٱسْتَقَادَ ٱلْكَفُّ بِٱلْكَفِّ لَمْ يَجِدْ　　لَهُ دَرَكًا فِي اَنْ تَبِينَا فَاَحْجَمَا

(الروايات) رُوي في احدى النسخ : استفاد بالفاء وهو تصحيف . ويروى : « فاجحما » بتقديم الجيم . (الغريب) استقاد طَلَبَ القَوَد اي القصاص . واستقادَ فلاناً بفلانٍ اي طلب قَتْلَهُ بهِ . وتبينا اي تفترقا . والدَّرَك الفوز . وأَحْجَم عن الشيء امسك عنهُ ولم يُقدم عليهِ ومثلهُ أَجْحَم . (المعنى) تتمة البيتين السابقين : اي لمّا رأى طالب الثار انهُ بانتقامهِ لا يصيب غايتَهُ فيكون بمنزلة قاطع يده الاخرى عدل عن فعلهِ وامسك . وهذا البيت في بعض الروايات مقدَّم على البيت السابق وتأخيرهُ أَبْيَن للمعنى

فَاَطْرَقَ اِطْرَاقَ ٱلشُّجَاعِ وَلَوْ يَرَى　　مَسَاغًا لِنَابَيْهِ ٱلشُّجَاعُ لَصَمَّمَا

(الروايات) جاء في نسخة لندن : مساغاً لناباهُ . وهي رواية مصحفة . وروى هبة الله العلوي في منتخبات شعراء العرب (ص ٢٢) : « فلم يرى مساغاً لنابَيْهِ » وهي رواية مغلوطة . (الغريب) أَطْرَقَ سكتَ وقيل نظر الى الارض ساكتاً . والشُّجاع من اسماء الحيَّة . قال العلويّ : الشُّجاع حيَّة لطيفٌ اقرع الراس . والمساغ المضي والمسلك . يريد مساغاً في نكزهِ . وصمَّم مضى على الامر وجدَّ فيهِ . (المعنى) هذا البيت مثلٌ ذكرهُ الميداني (١ : ٢٠٨) . قال ابو علي : هذا البيت يُضرب مثلًا للرجل يقصر الى ان تمكّنهُ الفرصة (اغاني ٢١ : ٢٠٩) . وخلاصة المعنى انَّ المعوّل على الشرّ لاخيهِ اذ يرى بسوء عقبى عملهِ ولا يجد منهُ فائدةً يجري على مثال الحيَّة التي تعدل عن اللدغ اذا تحقَّقت انها لا تلقى مساغاً لنابَيْها الَّا بمضرة نفسها . (الانتقاد) قال ابو عبيدة (في الاغاني ٢١ : ٢٠٩) . قول المتلمّس هذا اشردُ مَثَل قيل في اعتداد بني العم والكفّ عن مقاتلتهم بفعلهم

وَقَدْ كُنْتَ تَرْجُو اَنْ اَكُونَ لِعَقْبِكُمْ　　زَنِيمًا فَمَا اَجْرَرْتَ اَنْ اَتَكَلَّمَا

(الروايات) جاء في نسخ الديوان : « وقد كنتُ ارجو ان اكون لعقبهم » وهي رواية فاسدة تخالف المعنى ما لم يُقَل ان قولهُ من باب التهكم . وروى في الاغاني (٢١ : ١٨٧) : فما أَحرَزْتُ وهو تصحيف . (الغريب) العَقْب الولد ونسل الرجل وعقب كلّ شيء آخرهُ . والزنيم المَنُوط بالقوم

اللاصق بهم وهو ليس منهم. واصلهُ من الزَّنَمة التي تُقطع من اذن الشاة فتُترك معلقةً». قال حسّان بن ثابت:

وانت زنيمٌ نيط في آل هاشمٍ   كما نيط خلفَ الراكبِ القدَحُ الفردُ

والاجرار ان يُشقّ طرف لسان الفصيل او الجدي لئلّا يرضع. قال عمرو بن معدي كرب:

ولو انَّ قومي انطقتْني رماحهم   نطقتُ ولكنَّ الرماحَ أجرَّتِ

قال العلويّ: والتَّفليك ان يُثقَب لسان الفصيل ويُجعل فيهِ خيط من شعر ويُعقَد طرفاهُ كالفلكتين فيمنعهُ من الرضاع. (المعنى) ظننتَ يا حارث انني ارضى ان اكون بينكم كالغريب اللاحق بكم فلم تستطع ان تربط لساني عن الكلام. وقد ضرب الاجرار مثلًا للسكوت

لأُورِثَ بعدِي سُنَّةً يُهتَدَى بِهَا   وَأَجلُوَ عن ذِي شُبهَةٍ إن تَوَهَّمَا

(الروايات) روى في خزانة الادب (٤: ٢١٦): يُقتدى بها. وكذلك في مختارات العلويّ (ص ٢٢) وروى ايضًا: « وأجلُو عمى ذي شُبهةٍ ». (الغريب) قد استشهد النحويُّون بهذا البيت دلالةً على ان اللام الداخلة على المضارع هي لام الابتداء دخلت عليهِ للتوكيد وليست في جواب قسم. السُّنَّة الطريقة والسيرة. والشُّبهة الامر المشتبه الملتبس وقيل الشبهة مشابهة الحقّ للباطل والباطل للحق من وجهٍ اذا حُقّق النظر فيهِ ذهب. وتوهَّم اي اخطأ في ظنّهِ. (المعنى) انّي بدفاعي عن نسبي سأُقيم من بعدي سُنّةً يقتدي بها غيري وازيل الشُّبهة التي خالجت افكار البعض في حقّي

أَرَى عُصُمًا مِن نَصْرِ بُهثَةَ دَانِيًا   وَيَدفَعُنِي عَن آلِ زَيدٍ فَبِئْسَمَا

(الروايات) روى في مختارات شعراء العرب (ص ٢٢): في نَصر بُهثَةَ دائبًا. ويروى: امتفلًا في آل بهثة . . . وتنفلني. وروى في نسخة لندن: فبيسما. وهو غلط. (التاريخ) عُصُم رجل من بني ضُبَيعة قال للمتلمّس: انت من بني يشكر ولستَ منّا. ونصر بُهثة مرَّ ذكرهُ في البيت الرابع. وآل زيدٍ من عشائر بُهثَة بن ضبيعة. (الغريب) الداني المتقرّب. وبئسما اي بئسما يفعل. (المعنى) يقول انَّ من جملة من يقرّفني في نسبي عُصُمًا هذا فهو ينتسب الى بني نَصر بن بُهثة وينفيني عن آل زيد بن بُهثة وكلانا في حقوق نسبنا سواء

إِذَا لَم يَزَلْ حَبلُ ٱلقَرِينَينِ يَلتَوِي   فَلَا بُدَّ يَومًا مِن قُوًى أن تُجَذَّمَا

(الغريب) القَرينان بعيران يُقرَنان في حبلٍ. والقوَّة طاقة من طاقات الحبل. وجذَّمهُ قطّعهُ. (المعنى) قال العلويّ: « ضرب ذلك مثلًا لهُ ولعُصُمٍ خصمهِ. يقول: اذا كان الرجلان كلٌّ واحدٍ منهما يناوي صاحبهُ فلا بُدَّ لاحدِهما ان يغلب الآخر» وتنقطع العلائق التي بينهما كما ينقطع حبل القرينَين اذا كثر التواؤهُ. (الانتقاد) قال ابو عبيدة: هذا البيت من شارد الامثال

إِذَا مَا أَدِيمُ ٱلقَومِ أَنهَجَهُ ٱلبِلَى   تَفَرَّى وإن كَتَّبتَهُ وَتَخَرَّمَا

(الروايات) يروى: اذا ما نجيجُ القوم. ويروى: يُفرَّى ويُخرَّما. (الغريب) قال العلويّ:

اديمُ كلّ شيء جلدهُ. وأنهجهُ أخلقهُ. يقال نهج الثوبُ وأنهج ونهِج وأنهجَ اي خلُق. وتفرَّى تمزَّق. وكتْبهُ خرزهُ والكتْب الخرز. وتخرَّم تشقَّق. (المعنى) يقول ان الاديم يصعب اصلاحهُ وخرزهُ اذا ما بلي وتخرَّق. ضرب ذلك مثلاً لشتم اقاربهِ وتعييرهم الذي يصدع القلوب فيصعب جبرها بعد انفصالها (لهُ بقيَّة)

يمين العليّ

روايةٌ تاريخية للاب س. ت اليسوعي

مقدِّمة

لا يرتاح القرَّاء الى روايةٍ خياليَّة ارتياحهم الى الروايات الجامعة بين تفكيه الالباب ورياضة العقل. وانَّما ذلك يُحصل عليه بالروايات التاريخيَّة لاسيَّما اذا كانت تفاصيلها تحيي لنا ذكر بلادٍ محبوبة واوطان عزيزة

فكم من مرَّةٍ اذا سار البيروتي في شوارع مدينتهِ وعثرت رجلهُ بآثار الاقدمين كبقايا الابنية القديمة والاعمدة الغائصة في الاطلال والحجارة المزيَّنة بالكتابات المجهولة يتوق الى استطلاع معالم مدينتهِ ويرغب ان يقف على حقائق تاريخها الدابر تذكّر القرون الخالية وما كانت عليهِ بيروت في سالف الاعصار من الجاه والرونق فيُجيل في مخيَّلتهِ احوال سكَّانها ويتتبع آثارهم ويُنصت الى كلامهم في لغةٍ لم يدرك اليوم معناها فيجد في هذا التذكار من الانس والارتياح والبسط والانشراح ما يزيدهُ تعلُّقاً في وطنهِ وحبَّاً باهل جلدتهِ

وهذا ما حملنا نحن ايضاً على ان نبحث في بطون الاوراق ونستخرج من زوايا النسيان بعض مآثر حاضرة البلاد الشاميَّة في القرن الاوَّل للميلاد فنكسو هذه الاخبار الصادقة بِبُرد قشيب تنسجهُ المخيَّلة وتلحم سداهُ خواطر القلب. فعسى هذه الاسطر تروق في عيون اهل الشرق فتبعثهم على درس تواريخهم الدارسة ليرفعوا أعلام البلاد وينشروا من رميمها مفاخر الاوطان فتتمّ فائدة الاقتداء وينهج المحدثون مسالك الاقدمين

*

افتتاح روايتنا في اوائل السنة السبعين للمسيح. وكانت بلاد الشام آنئذٍ ايالةً من ايالات المملكة الرومانية المتدّ رواقها الى اقاصي العالم المعروف. وفي تلك السنة عينها احرزت سوريّة لها من المجد ما لم تنَلهُ سابقًا فانَّ فَسْبَسْيان قائد جيوش رومية في الشرق استُدعي الى عاصمة الدنيا ليتربَّع في دست المملكة بعد مقاتلة الطغاة لكنَّهُ لم يهمل مشروعًا عظيمًا كان انتُدب اليه وهو حصار مدينة اورشليم فما شدَّ الرحال قافلًا الى الغرب حتى قلَّد ابنهُ طيطس امر المدينة العاصية فصارت في حالة يُرثى لها ولن يمضي عليها بضعة شهور حتى تدخلها جيوش رومية المظفَّرة فتنهبها وتُعمل فيها عاملي السيف والنار ولا تلبث مدينة طرابلس بعد قليل ان ترى شهيدها الاوَّل لارنطيوس يُهريق دمهُ في سبيل دين المسيح المنتشر حديثًا

هذه امور ثلاثة كلُّها خطيرة جلية. اوَّلها يُنبئ بانحلال الدولة الرومانيَّة وتقهقر الوثنيَّة معها كيف لا وترى حينئذٍ خمسة قياصرة يحاولون التملك على الدولة الرومانية بينما تزمجر على ثغورها قبائل البرابرة لتهجم عليها ويدوي في اليهوديَّة بركان العصيان

والامر الثاني يحقّق نبوَّة الانجيل الطاهر في اورشليم قاتلة الانبياء وسافكة دم ابن الله. قد أزفت الساعة اذ لا يبقى لهيكلها من ذكر وينعب فوق اخربتها الغُراب وسوف يحلّ على بنيها دم البارّ الذي طلبوا صَلْبه من بيلاطس

وكذلك الامر الثالث لا يخلو من خطر وشأن فانَّ في موت لارنطيوس الاختياري على يد عَبَدَة الاوثان اشارةً الى عالم جديد سوف يخلف العالم القديم لأنّنا نعلم ان دم الشهداء لا يذهب هدرًا فانهُ اشبه بزرعٍ يزكو وينمو فيأتي بثمار جنيَّة وهي اثمار النعمة والخلاص

هذه هي الحوادث التاريخيَّة الثلاث المهمَّة التي نبني عليها هذه الرواية فنلاحمها في بعضها ونوردها في مظهر جديد ونضمّنها اخبار بلادنا السوريَّة والاحوال التي طرأت عليها في ذلك العهد. وقد وسمناها باسم «عين العليّ» وهو اسمٌ رمزيٌّ لا يلبث القارئ ان يفهم معناهُ

وغاية ما نتمنّى ان تحظى هذه الرواية قبولًا لدى القرّاء فتزيدهم حبًّا للاوطان وتمسّكًا بالدين

بيروت في غرّة كانون الثاني سنة ١٩٠٣

الفصل الاول

منارة الحمام

نحن في فصل الشتاء. الّا انّ السماء بعد هتونها مدّة ايّام متوالية راقت فصفا اديمها والشمس بعد سيرها في دائرة السماء صارت الى الأصيل وهي تنير باشعّتها الذهبيّة مراقي ملعب اغريبا الملك

وكان الاهلون اذ ذاك في حركةٍ ونشاط يجري كهولهم الى الحمّامات العموميّة بينما كان الشيوخ يدلفون الى الاروقة الفخيمة التي ابتناها اغريبا وراء المرسح

وكانت الحركة اشدّ واعظم في سوق اليهود فيزدحم الناس حول الساعة وهم في هياط ومياط ترى على ملامحهم سمة الروماني واليوناني والسامي ولكلّ منهم لبسهُ الخاصّ وعاداتهُ المألوفة لدى أسرتهِ. وكنت تسمع هذا ينادي المارّة وذاك يصرخ وغيره يزجر الغريم وكلٌّ منهم يعرض للزبون ما لديه من اصناف البضاعة وضروب الاقمشة مقسمًا باله الهيكل انّ سلعهُ من الجنس الفاخر وانّ اسعارها غاية في الهاودة وبخس الثمن

وكانت سوق اليهود على ربوةٍ تتحدّر تحدّرًا خفيفًا الى البحر وفي اعلاها عدّة بيوت حسنة البناء جميلة المنظر شيّدها التجار لسكناهم وكانت بينها دارٌ فسيحة عالية الجدران ذات اطناف فوقها سطحٌ يكشف على انحاء البلدة تُعرف بدار الورود لكثرة ما كان ينبت فيها من اصناف الزهور ولا سيّما الورد

- نِعم الورد وحبّذا حمرتهُ ورائحتهُ العطرة! فانّ يهوديت ابنة صمويل ساكنة هذه الدار كانت مولعة بالورد تصرف صلب نهارها بتربية اصنافهِ التي كانت تُرى في بيتها في كل ادوار السنة

وكان صمويل ابوها اغنى اهل بيروت بالحرير ترى القوافل تأتيه بهِ من اقاصي الشرق بعد ان اهتمّ في قطف فيالجهِ اهل الصين فحلّلوهُ ثمّ نسجهُ اهل دمشق وصبغهُ اهل صور وصيداء. وكان صمويل يتاجر بهِ في عواصم الشرق والغرب وكان اهل رومية خصوصًا

يقبلون على اقتناء حريرِ فيوسق به عمَّالهم سفنهم التجاريَّة ويرسلونها الى امّ المدن وهم يدفعون فيها الاثمان الطيّبة حتى اضحى صمويل من المثرين المشار اليهم بالبنان لكثرة غناهم

امَّا يهوديت فكانت في ذلك النهار غائصةً في بحر الافكار على وجهها امارات القلق والكدر كنتَ تراها جالسةً على مقعد في رواق دارها لا تبدي حراكاً كانها تُصغي الى صوت مياهِ فوَّارة تعلو في الهواء وتتناثر على شبه غلالةٍ منعكسةٍ الى حوضٍ من الرخام الملوَّن العروق

فتُرى في اي شيء كانت يهوديت تسرّح افكارها؟ أكانت تفكّر في ابيها الذي برح بيروت منذ ايَّام ليحضر في اورشليم عيد الفصح وينهي فيها بعض اموره التجاريَّة؟ ولكن كانت اخبار البريد وردتها في صباح ذلك النهار فاعلمها ماريوس الساعي انَّ اباها تامّ العافية وسلَّمها صفيحةً يخبرها والدها في جملة كتابته انهُ ابتاع لها عقداً ثميناً من اللآلئ المشعَّة الكبيرة الحجم سوف يزين به جيدها فيزيدها حسناً على حُسن

كلاَّ ليس فكرها عند والدها المتغيّب بل ولا عند اخيها يوسف الذي كان رحل ولهُ من العمر عشرون سنة الى بلاد اليونان فقرأ في اثينة على اساتذتها المشاهير فانجز دروسهُ واصاب قصبة السبق. وكان منذ أيَّام قلائل خرج من اثينة ميمّماً رومية العظمى مُبحراً اليها على طريق الاسكندرية

وكانت يهوديت مع حبّها لاخيها لا تجد في حبّه ما يروي غليلها لانها كانت تجد يوسف يجدُّ في تحصيل العلوم لا يكترث للذَّات العيش ولافراح البيت على انهُ كان يعزّ اختهُ ويرى في صورتها آيةً من الجمال الخالق للعالمين ليبهرهم بمحاسنها. وكان يوسف يكاتب اختهُ ويرسل لها القصائد الرنَّانة في اوصاف خُلقها وخَلقها. وهو الامر الذي كان يحبّب اليها اخاها فترتاح الى كتاباته وقراءة نظمه. وكانت قصيدتُهُ الاخيرة معنونة «بدرَّة المشرق» وفدت عليها يوم امس اطنب اخوها في مدحها فاجاد ما امكن

غير انَّ هذه المدائح مع تردُّد صداها في قلب يهوديت لم تكن لتشغلها حينئذٍ وانَّما كان فكرها يجول في غير ذلك

وكانت أَمتها الموكَّلة بالساعة الرمليَّة وافتها ثلاثاً لتعلمها بساعات الزمان دون

ان تبالي لقولها حتى صار اصيل النهار اعني الساعة العاشرة منهُ فكأنها افاقت من سكرتها لمَّا نبَّهتها الأمَة وقامت مذعورة. لكنَّها ثابتْ الى نفسها بعد هنيهةٍ واستغربت ضحكاً اذ رأت بازائها عَبدتها وكان اسمها دوروتيا وهي امرأة مسنَّة مصريَّة الجنس قبيحة الصورة سوداء غليظة الشفاه لابسة ثوبًا طويلًا من الخام الغليظ. وكانت اقتربت الى سيّدتها وهي في قلقٍ من امرها اذ رأتها ساكنة واجمة منذ ثلاث ساعات. فما لحظتها يهوديت حتى اضحكتها صورتُها ثمَّ سألتها: ما الامر ؟

قالت: على الباب صانعٌ ارسلهُ يعقوب ابن الربّي رئيس الكنيس ليتفقَّد اخبار صحَّتك أفأقول لهُ انكِ متوعكة المزاج ؟

— كلَّا بل بلّغيهِ انكِ رأيتني في السَّجس والبلبال لأنّي كنتُ افكّر فيهِ

— كيف ابلّغهُ هذا وهو اذا عَلِم بكدر خاطركِ ساءهُ الامر فما بالكِ تُحزنين هذا الشاب الرَّيض الاخلاق وهو ابن رجل اغنى من قارون يملك من المال القناطير المقنطرة التي يزيد ثقلها على ما يثقلهُ من وقر السنين

— إلزمي الصمت افيكون ابن يعقوب رشاكِ برشوةٍ ما لتدافعي عنهُ امامي وتعطفي بقلبي اليهِ. فان كان ذلك لفعلتُ بكِ . . .

وما قالت هذا حتى رفعت يدها متهدّدة. امَّا الأمَة فما سمعت كلام سيّدتها الفتيَّة السنّ حتى انسحبت من امامها صامتةً بعد ان قبَّلت ثوبها منحنيةً

— زه زه انَّ دوروتيا أَمَتي ايضًا داخلة في المكيدة. فما هذا الَّا دليل على رغبة والدي في ان يُزوّج بيني وبين هذا الشاب الدميم. يا لله هل رأى احد ديكًا مثلهُ في قبح صورته تراهُ طويل الساقين معوجَّ القدّ مائل الشقّ مجتمع المنكبَيْن اصعل الرأس افطس الانف فبحقّ حياتي لا اظنُّ انهُ يوجد لهُ شبيه في الدمامة

قالت يهوديت هذا واخذت تقهقه لما ترآى لها في مخيّلتها من مقابح يعقوب طالب الاقتران بها. فاعاد لها ضحكها فكاهة نفسها المألوفة بعد ان غلب عليها العبوس

ثم دخلت غرفتها مارَّةً امام وذيلةٍ (مرآة من المعدن) فنظرت الى صورتها فافترَّ ثغرها واصلحت ما اختلَّ من خُصَل شعرها الاشقر ثم تطالَّت من نافذة حجرتها فرأت في الجنينة عند باب الدار حارسها وهو في انتظار لاوامر سيّدتهِ فدعتهُ وللحال لبَّى دعوتها مسرعًا

وكان الحارس المذكور رجلاً طويل القامة عريض الصدر كأنهُ جبار في عظمهِ يضرب شعرهُ الكثّ الى الصهبة وعلى شفتيهِ شاربان ضخمان يتدلّيان على جانبي شدقيه فيظنهُ الذي يراهُ علجاً من همج الناس. امَّا بياض وجههِ وشقرة شعرهِ فكانا يدلان على اصلهِ وانهُ من بلاد الجرمان

فدخل الرجل وانحنى مسلّماً ثم انتصب دون حراك فقالت لهُ يهوديت:

هيَّا سلوانس اعدّ لي المحفّة فاني اريد ركوبها ولعلي اتأخر قبل الرجوع فمُرْ حملة المشاعل بان يأتوا بعد المغرب فينتظروني على سِيف البحر عند الرمل

فانحنى الحارس الجرماني وخرج ليمتثل اوامر سيّدتهِ

وكان سلوانس بيع صغيراً كعبد وربي في بيت صمويل وكبر وتعلم اللغتين الجاريتين في بيروت الآرامية واليونانية فضلاً عن شيء من اللغة اللاتينية. وكان محبّاً لسادتهِ وهو لهم آمن من الكلب وكانت محبّتهُ لسيّدتهِ يهوديت اعظم وارقّ لا يفارقها لحظة عين اذا خرج في خدمتها

وفي اثناء ذلك جلست الفتاة على كرسيّ تصطلي باشعّة الشمس ريثما يهيّئ سلوانس الحداجة وامرت أمَتَين يونانيّتين كانت تمهد اليها بلبسها أن تتوليا امر زيّها قبل ان تخرج فقمتا والبستاها ملاءةً بيضاء كالثلج ثمَّ ذرّتا على شعرها ذروراً من سحيق الذهب، وزيّنتاها بافخر حليها. وكانت الفتاة في خلال ذلك ترى شخصها في المرآة لئلاَّ ينقصها شيء من اسباب الجمال صابرةً على ما يورثها ذلك من السأم والملل

وما انتهت من زينتها حتى قامت تخطر كبراً وتميس زهواً فاجتازت الدار وبلغت الرواق حيث كان عشرون عبداً من الزنج في انتظارها ليحملوا محفّتها. وكان هؤلاء متجعّدي الشعور مشتملين الشّملات البيضاء يجعلون اطرافها على منكبهم الايسر وكانت في معاصمهم العزّاة اساور ودمالج من ذهب وفي ارجلهم شبه الخلاخل لتزيد بحسن ملابسهم رونق سيّدتهم

فلمَّا وصلت يهوديت قرّب اليها الحاملون محفّتهم فاجلسوها فيها واتّكأت على مرافق من الارجوان ثمّ مدّت قهرمانتها الاستار من جهة الشمس واماطتها من الجانب الآخر وظلّت ثيابها وانحنت مودّعةً

— هيَّا الى مغارة الحمام

فما سمع العبيد امرها حتى ساروا بها سيراً ليناً ماشين المشي الموقع المنظم وتوجهوا الى باب الجنوب. وكان يتقدم المحفة بعض الغلمان ينحُّون القوم عن الطريق بقضبان من العاج فيتبعهم الزنوج وهم ينظرون الى الجمهور بعين ابية

فنزل حملة المحفة سوق اليهود ثمَّ اداروا الظهر للمرسح سائرين مع الشمال وجهتهم الزقاق المعروف بالقويم حتى اذا ادركوا الباب الذي في اقصاه ينهجون الطريق الميممة صيدا.. وكانت الساعة اذ ذاك نحو الحادية عشرة لم يبقَ لمغيب الشمس الّا ساعة واحدة

وكانت يهوديت تحدق من علوّ محفتها ذات اليمين وذات الشمال الى الباعة فتُسرّ بحركاتهم وتبسم لخزعبلاتهم وتنظر الى اصناف سلعهم. ومما كان يستجلب خاطرها مشهد قوم من النصابين والصعاليك الدجالين من اهل البادية يجرون الالعاب الغريبة والحِيَل العجيبة وكذلك شخصت ببصرها الى فئة من غوغاء المصريين كانوا يدقون الدفوف ويطبلون ويزمرون استدراراً لحسنات المحسنين. وكانت تسرح ابصارها في اجناس المارة فلا تكاد تجد اثنين متشابهين في الهيئة والملامح والملابس اذ ترى مثالاً من كل امم الغرب والشرق معاً من اهل غالية وبريطانية واليونان والسرماتيين والحبش والنوبة والعرب وكانت تميّز بينهم مواليد الشام واهل جلدتها اليهود الذين تنوس على عارضيهم الغدائر. وكانت من وقت الى آخر ترى بعض الفرسان من ضبّاط الرومان يركضون جيادهم في وسط القوم ويضربون بسياطهم من يعوقهم ويثبط سيرهم الحثيث. وربما سمعت السابلة يُثنون على حُسنها عند مرورها فيستفزها ثناؤهم ويطربها قولهم

وبعد برهة من الزمان بلغ بيهوديت حاملوها الى باب المدينة فاحست بنسمات الريح البحرية فنصبت صدرها لتتنسَّمها وتنظر الى الامواج الملامسة لصخور الساحل وتعاين طيور البحر الجاثمة على سطح المياه

واخذ من ثمَّ الحملة بالاسراع سائرين في طريق لاحبة موثورة لا يُجاريهم في سيرهم غير اصحاب الثروة من رجال ونساء في محفاتهم يحملهم العبيد مثل يهوديت. وكانت الآنسة تتبيَّن معارفها وتبتدر بعضهم بالسلام او تجيب على سلام صديقاتها باشارة خفيفة من رأسها او حركة من يدها

بيد ان نظر يهوديت كان في الغالب متحيّرًا كأنها تفتّش عن ضالّة او تتوقّع قدوم احد. وكانت محفّات اعيان بيروت تتلاقى ذاهبةً آتيةً. ومن حين الى حين كان حملة المحفّات يميلون قليلًا الى جانبي الطريق ليدّعوا جادّتها لقوافل الجمال الناقلة لغلّات حينًا وعكّة فترى سُفُن البرّيّة سائرة سيرًا مهيبًا مادّة اعناقها الى القوم يتقدّمها حمار صغير يقودها في سواء السبيل

وكانت يهوديت لا تُعير بالًا الى هذه المناظر اذ وجب قلبها واقشعر بدنها وكأنها سمعت صوت فارس يجري الخبب وهو آتٍ الى جهة بيروت فقالت في نفسها: أُتراهُ هو؟ فحدّقت نظرها الى الامام وزاد اضطرابها واحمرّ وجهها بحمرة قرمزيّة فقالت: هو هو بعينهِ

وكان الفارس المقبل على جواده ضابطًا رومانيًّا في مقتبل العمر حسن البزّة جميل الهيئة. فعرف من بعيد المحفّة وصاحبتها وضبط عنان فرسهِ فمرّ رويدًا بقربها وسلّم على الفتاة. امّا يهوديت فانتعشت لدى نظره واصاب جسمها كهزّة الكهرباء فاجابت الى سلامهِ احسن جواب ثمّ استندت الى مرفقتها كاسرةً جفنها كأنّ الحياء غضّ بصرها. ولكن ما صار الفارس وراء المحفّة حتى التفتت يهوديت لتشبع منهُ عينها فرأت الفارس هو ايضًا يحدج اليها بنظره حتى ابتعد كلاهما فتوادعا وارخى اذ ذاك الفارس العنان لفرسهِ فاخذ جوادهُ يلتهم الارض عدوًا

امّا يهوديت فلم تزل تتبعهُ بالنظر الى ان غاب عن عيانها. غير انهُ لم يغب عن جنانها فبقي قلبها يخفق مدّة طويلة لا يمكنها ان تخمد لظاه وتسكن حركاته

وما لبث الحملة ان وصلوا الى مغارة الحمام. فنزلت يهوديت من المحفّة ومشت على الصخور التي بازاء المغارة ثم اخذت بعض حفنات من الشعير كان اتى بها احد الخدم في سلّةٍ فبثّتها حولها. واذا بالحمام صفّق باجنحتهِ وتطاير من ابراجهِ الطبيعيّة ثم هبط على الحبّ المنثور

وكانت يهوديت تنظر الى الطيور بعين حائرة لا تقرّ لما حولها من المشاهد الجميلة لاسيّما ان الشمس كانت وقتئذٍ ترتّل الى الافق وهي على وشك ان تغوص في البحر وكانت اشعّتها تنير لبنان وتجلّلهُ ببهاء يأخذ بالابصار الّا انّ قلب الفتاة لم يكن حيث كان جسمها استباهُ الفارس بسيره فذهب بهِ

وبعد ان قضت الابنة ساعة من الزمان رأت الليـل يمدُّ عليها رواقهُ فاشارت الى حشمها انْ: اقفلوا راجعين الى المدينة. فركبت حداجتها وسار بها الحشم. وكان لبنان يظهر لها وتتنزه بمنظر مهيب تجلل قممهُ الثلوج الغرّاء وتكسو جوانبهُ بقايا نور النهـار برونق جليل يأخذ بمجامع القلب. لكنْ فكر يهوديت كان يهذُّ بالضابط الروماني الذي لقيتهُ في هذه الطريق مرّتين فاسر قلبها وهي لم تعرفهُ وبعد ان كان قلبها حتى ذاك اليوم بارداً جامداً لم تجد في الارض انيساً مذ فتكت يد المنيَّة بوالدتها العزيزة

وعادت في المساء الى يهوديت بشاشتها المألوفة اذ تبدَّدت عنها غياهب الحزن التي كدَّرت صباحها وتوارى عنها خيال يعقوب المقوت. ولمَّا اتى اليها العبد الصغير المدعو اوفوريون بطعام العشاء لاطفتهُ بالكلام ومكّنتهُ من تقبيل يدها ثم امرت بان يُعطى عبيدُها صحناً من الحلويات في سرب الدار حيث كانوا يقيمون

وبعد عشائها قامت الى حجرتهـا واطفأت المصباح الثمين الذي كان يضعُ بضوئه اللطيف فينير فراشها المصطنع من النحاس المذهَّب مع اثاث غرفتها ثم فتحت نافذةً كانت ترى منها السماء مرصَّعة بالكواكب فجلست عنـدها ترعى النجوم وتفكّر في ما يُعدّ لها مستقبلُها وربَّما جرت الرياح حيث لا تشتهي السفن

وكانت البلدة في تلك الليلة مزدانة بالانوار لأن القيصر تيبيان كان دخل رومية وتملَّكها فانتشر الخبر في كلّ انحاء المملكة. اما يهوديت فكانت تتنسَّم اخباراً غير هذه فجعلت تبحث في كبد السماء عن نجمها الميمون المعروف باسـها لعلَّهـا تقرأ في صفحاته اللامعة سعدها المنتظر

فقضت على تلك الحالة ساعةً حتى اكتحل جفنـاها بالنوم فرقدت ولم ترقد مخيَّلتها التي مثلت لها في المنام ما رأتهُ في طريقها الى مغارة الحمام (ستأتي البقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

تاريخ سوريَّة

بقلم السيد الجليل والعالم العامل المطران يوسف الدبس المارونيّ

الجلد السادس (طُبع في المطبعة العمومية ١٩٠٢. ص٦٦٣)

يتضمَّن هذا القسم من كتابٍ طالما أَشدْنا بفرائدهِ تاريخ سوريَّة منـذ اواخر

القرن الحادي عشر الى اوائل القرن السادس عشر. وقد وجدناهُ بعد تصفح طَرَف منهُ انهُ كاخوته السابقين في حسن سبكه وكثرة تفاصيله وجودة عبارته مع استطرادات عديدة الى غير تاريخ سوريَّة شرقًا وغربًا ما من شأنهِ ان يزيد الكتاب فائدةً وجدوى. ومما لا يسعنا الاضراب عنهُ ذكر سيادة المؤلف مجلتنا المشرق بالخير واستشهادهُ باقاويلها فاوجب علينا شكرهُ انسأ الله في اجله ونفع طائفتهُ الجليلة بل كل ابناء الوطن بغزارة علومهِ وامثال فضائلهِ فهو السميع المجيب

كتاب المنارة الطبيَّة في المداواة الاهليَّة

تأليف ميلاد جرجس منصور صالح صفير

(طُبع في مطبعة الارز سنة ١٩٠٢ص٤١٢)

احسن الدكتور النطاسي خير الله افنــدي فرج صفير احد المتخرجين في مكتبنا الطبي والمعاون سابقًا في المستشفى الفرنسي بنشر كتاب كان بقي لولا همَّتــهُ في زوايا النسيان وهو كتاب المنارة الطبيَّة في المداواة الاهليَّة صنَّفهُ احد اطباء لبنان الأسرف عليه ميلاد جرجس منصور صالح صفير العجلتوني تعجّلتهُ المنيَّة فصدَّتهُ عن اتمامهِ. ولم يكتفِ خير الله افندي ان ينشر هذا الاثر المتضمّن لابحاث عديدة في الامراض الاهليَّة واسبابها واعراضها وعلاجها بل احبَّ ان يصدرهُ بفصول مفيدة عن مبادئ التشريح والفسيولوجية ويلحقهُ بموجز اقرباذيني يشمل اهمَّ المواد الطبيَّة مع ذكر اخصّ العقاقير والتمييز بين ضارّها ونافعها فجاء الكتاب شافيًا وافيًا يندر وجود مثلهِ في اللغة العربية فاثاب الله المؤلف وجازى ناشر التأليف ومجلي محاسنهِ

الدرر السنيَّة

في واجبات ذوي الدرجات الكهنوتيَّة

للاب هارل الفرنسي. معرَّبة بقلم الخوري يوسف ديب (الجزء الاول ١٩٠٢ ص ٢٦٦)

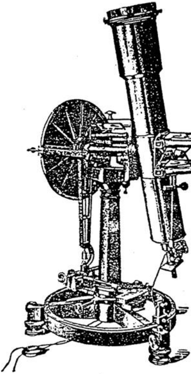
قد كثرت والحمد لله الكتب الموضوعة لتهذيب الاكليروس ووصف واجباتهِ منها في العربية فقط نحو عشرة تآليف مطبوعة في رومية والقدس الشريف وبيروت. وقد امتاز هذا الكتاب الجديد بكونهِ يتضمّن خلاصــة ما كتبهُ الآباء ومعلمو السيرة الروحية في الفرائض الكهنوتية كتعريف سموّ درجة الكهنوت والفضــائل التي تترتّب على رجال الدين والصفات التي ينبغي لهم ان يتّصفوا بهــا لتهذيب القريب

وارشاد النفوس الى غير ذلك مما لا غنى للاكايريكيين من مطالعته ودرسه ليكونوا السراج الوهاج الموضوع على منارة الكنيسة. حقق الله اماني المترجم بان يكون كتابهُ فاعلًا جديدًا لاحياء روح الله في قلوب وكلانه على الارض ل. ش

The Photochronograph and its applications

by J. G. Hagen, s. j., *Washington*, pp. 160

الفوتوكرونوغراف وخواصهُ



صورة الفوتوكرونوغراف

للرهبانيَّة اليسوعية في جورجتون مرصد يتولَّى ادارتهُ احد مشاهير الفلكيين ممَّن لا يزيدهُ ثناؤنا مجدًا لعظم مقامهِ بين علماء الخافقين وهو الاب ي. هاغن الذي مرَّ ذكرهُ في المشرق (٥ : ٣٨٠). وللاب المذكور مآثر متعدّدة فلكيَّة من جملتها الكتاب

الذي نحن في صدده وهو يتضمَّن وصف آلة بديعة اخترعها هذا العلامة مع بعض رصفائهِ من مرصد واشنغتُن وغيره غايتها تدوين رصود فلكيَّة عديدة على طريقة ادق واكمل. وذلك انَّ النظارة الفلكية تجهَّز عادةً بجهاز من انسجة العنكبوت فاذا مرَّ النجم رأت العين صورة النسيج عليهِ عند مروره فتتأثر العين اوَّلًا بالنسيج ثم بصورة الكوكب وفي هذا التتابع خللٌ لا بُدَّ من اصلاحهِ بعمليَّة تُدعى « بالتعديل الشخصي » اعني بزيادة كميَّة معلومة لضبط الحساب. وهو الخلل الذي سدَّهُ الاب هاغن مع رصفائهِ المذكورين بوضع هذه الآلة الجديدة وهي تصوّر النجم عند مروره امام آلة الرصد ولئلا تكون هذه الصورة عبارة عن خطّ ابيض مستقيم يسهل احتجابهُ جُعل للآلة ساعة فلكية تكشف بحركتها الكهربائيَّة الصفيحة الفوتوغرافيَّة كلَّ عُشر من الثانية وتحجزها بحيث يُرى النجم المرصود في آخر العمليَّة على صُوَر متعددة غاية في البهاء يُجمل بين بعضها فروضٌ لتعريف الاوقات فيرجع الفلكيّ الى هذه الصفيحة ويستطلع بها احوال النجم في كل حركاتهِ. على لن هذه الصور صغيرة جدًّا لا تُرى الّا بالمجهر. وهذه الآلة دُعيت فوتوكرونوغراف اي مدوّنة الزمان بالنور وصفها الاب هاغن في هذا الكتاب وبيّن خواصَّها ومنافعها ليس فقط في رصد النجوم لكن ايضًا في تعريف أعراضها وهي تصلح لدرس السيَّارات واقمارها ولبيان قِران النجوم وغيابها. وممَّا صُوِّر بهذه الالة حلقة زُحَل ومناطق المشتري الاستوائيَّة. وفي الكتاب جداول عديدة وثماني صور فلكية بديعة من جملتها صورة الفوتوكرونوغراف الاب م. كولنجت

DIGORSKIYA SKAZANIYA
Mockba, 1902, pp. 148

طُرَف في لغة اهل ديغور

قد جمع الاستاذ ف. ملّر في هذا الكتاب مقاطيع عديدة منها روايات وقصص واغاني في لغة بعض اهل جبل قاف (Caucase) تُدعى اللغة الأُستيَّة (ossète) يتكلم بها اهل ديغور وقد ترجم هذه الشذرات الى اللغة المسكوبية وعلّق عليها تعليقات قصيرة. وهذا التأليف يتمّم ما باشر فيهِ الاستاذ نفسهُ سابقًا فنشر من هذه اللغة منتخبات في سنة ١٨٨١ ثم مع مساعدة البارون دي ستاكلبرغ في سنة ١٨٩١. والمجموع الجديد حصل عليهِ الاستاذ ملّر بواسطة بعض ادباء ديغور فدوَّن ما سمعهُ منهم بحروف ابتدع صورتها قبلًا. ولعلَّ القرّاء يتعجبون من اهتمام رجل شهير

كصاحب هذا التأليف بمثـل هذه المنشورات ألا انّ العلماء الاوربيين يرون ما وراء ذلك فوائد جمّة منها انّهم يتمكّنون بعد زمن من وضع كتاب يقابل بين لغات تلك الانحاء الشتّى فيؤدون للعلم بتعريف اصول اللغات خدماً جليلة كالخدم التي سبق اليها بروغمان (Brugmann) ولسكيان (Leskien) بدرس الاغاني الليتوانيّة التي ازالت الشبهات عن مسائل عديدة من فرع اللغات الهندواوربيّة. فنشكر اذًا الاستاذ ملّر على صُنعهِ ونتمنّى ان ينهج غيرهُ طريقتهُ في جمع شتات اللغات العربية التي يعرفونها علّهم يفيدون اخلافهم وينجّون من التّلف ما لعلّهُ يضيع لولا عنايتهم الاب ب. بترس

شذرات

معادن البورق في سلطان تشاير ذكرنا في مقالتنـا «المناجم المعدنيّة في الدولة العلية» (المشرق ٥: ٧٧٥) اكتشاف معادن البورق في سلطان تشاير في سنجق كرامسي وما يُنال منها من الارباح العظيمة. وقد افادتنا آخرًا المجلّات العلمية ان الشركة الانكليزيّة التي نالت الامتياز لاستثمارها قد وسّعت منذ زمن قريب نطاق اشغالها فتعدّن اليوم اكثر من متني هكتار ملك. ولها رأس مال يبلغ ٦٠ مليون فرنك واستخرجت ٩٠٠٠ طن من المعدن بسعر ٢١ فرنك و ٧٥ س في الطن يُباع اكثرها في روان ولڤربول ومرسيلية وهمبورغ وبطرسبورغ وتريستة. والبورق يوجد في التربة بين خليط من الجصّ والحُمَر ويكون قطعًا على شكل كَلَويّ او على شكل سنّ الفيـل ويُرى ممزوجًا بالمغنيسيا (borate de magnésie) والبورق يستعمل في الطب بصفة حامض البورق وهو ينفع في امراض كثيرة

الطوابع البارومتريّة انّ المحطة المركزيّة لبريد واشنطون اخذت منذ بضعة اسابيع تُفيد اهل البلد باحوال الزمان يوميًّا وذلك انّها اذا وسمت الطوابع التي على غلافات المكاتيب تطبع ايضًا عليها كلّ الاعلامات الجويّة التي تُرصد في مرصد المدينة بحيث يطّلع عليها بعد قليل كل اهل المدينة

اسرع المراكب التجاريّة في العالم السبق فيها لانكلترة فانّ لها اربعة مراكب: كونوت (Connaught) ولَينستر (Leinster) ومُنستر (Munster) واولستر (Ulster) تنطع في الساعة ٢٣ عقدة وخُمس العقدة ثمّ يليها مركبان الالمانيّان

« دوتشلند وكرون پرنس ولهلم » فيقطمان ٢٣ عقدة ثم ثلاثة مراكب انكليزيان « كنپانيا ولوكانيا » فالمانيّ « قيصر غليوم الكبير » ثم خمسة مراكب فرنسويَّة: اللوران (la Loraine) والساڤوا (la Savoie) من شركة ترنسلنتسيك والمنش والتاميز وفرنس.

امَّا مراكب النزهة (yachts) فالسبق فيها لمركب اميركيّ نجز منذ شهرين في نيويرك . يُدعى سهماً (Arrow) طولهُ نحو ٣٣ متراً في عرض ٣ امتار و٨٠ س يقطع في الساعة ٧٢ كيلو متراً ونصف . وهي سرعة غريبة تعادل سرعة السكك الحديديَّة الخفيفة السير

اصطدام منطادين — من غرائب الصُدَف انَّ في ٧ تشرين الاوَّل التقى في الظلمة منطادان كان احدهما متوقلاً الى اعلى الجوّ والآخر نازلاً الى الحضيض فاصطدما في علوّ ٣٨٠٠ متر فوق باريس الَّا انَّ اصحابهما نجوا بعون الله ولم يصب منهم غير عامل واحد فُتَّ بعضده

اسئلة واجوبة

س سُئلنا عن الابيات الآتية التي وردت في الجزء الحادي والعشرين من الاغاني (في الصفحة ١٦٠) وهي لبيهس الذي يُضرب فيهِ المثل بالتحامُق فمن ايّ بحر هي وكيف تقطيعها:

يا لها نفساً يا لها إتسي لها الطعم والسلامَه
قد قتل القومُ إخوتها بكل واد زُناء هامَه
فلأ طرقنَ قوماً وهُمْ نيامٌ وابركنْ بركةَ النعامَه
قابض رجلٍ باسط أُخرى والسيف أُقدِمهُ امامه

ج نجيب على هذا السؤال في عدد قادم ما لم يُجبْ احد قرَّائنا ان يتكرَّم بالجواب عنَّا

س وسُئلنا لماذا كتبنا باعدادنا السابقة اسم « اسوان » بالسين وقد ورد في الجرائد والمجلَّات بالصاد اسم اسوان

ج راجعنا كلَّ كتب جغرافيي العرب فلم نجد منهم واحداً يكتب « اسوان » بالصاد فقلَّدنا الانتساء بهم

س وسئلنا كيف نظمنا الشاعر الجاهليّ المهلهل في عداد الشعراء النصارى وهو يُقسِم بالانصاب والانصاب ما يُعبَد من دون الله الانصاب وعبادتها

ج نجيب انَّ ذكر الانصاب في شعر شعراء الجاهليَّة لا يدلُّ وحدهُ على وثنيَّتهم والامثال في ذلك كثيرة . نكتفي بذكر عبد المسيح بن جرير المعروف بالمتلمس وعدي ابن زيد اللذين لم يشك احد في نصرانيتهما وقد ذكر كلاهما الانصاب ل . ش